لا إله إلا الله

الله
رسول
محمد

دولة الخلافة الإسلامية

خذع الروم ببيعة أهل الكرم

لابني الشيخ/

أبي يوسف البرناوي -تقبله الله-



الطبعة الأولى

1439هـ - 2018م

الحقائق للإعلام

خَذْعُ الوَرَم

من الخوارج الشِّيكاوِيَةِ ببَيعةِ أهل الكَرَم

للأخوين

ابنَيِ الشيخ أبي يوسف البرناوي

حفظهما الله

١٤٣٩هـ | ٢٠١٨م



الطبعة الأولى

شوال ١٤٣٩هـ

التمهيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

إنّ الحمدَ لله نَحمده ونسْتعينه ونسْتغفِره، ونعوذ بالله من شُرور أنفُسِنا وسيّئات أعمالِنا، مَن يَهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله الكبير المتعال، المنعوت بِنُعوت الجلال، له الحمد على كل حال، سبحانه وهو شديد المحال.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الضحوك القتَّال، صاحب العطاء والنوال، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الصناديد الأبطال، الثابتِين معه في الملاحم والنزال، عند مقارَعة المشركِين الأنذال، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الحشر والمآل.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ (١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ (٢).

﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ (٣).

أما بعد : فإنّ بعضَ إخواني، أعزةٌ عليّ رفضُ طَلِبهم، طلبوا مني كتابةَ نبذةٍ مُختصَرة عن جهود أبي يوسف في الدعوة والتجديد في غربِ إفريقِية، من لدن نشأته إلى استشهاده، تظهرُ بذلَه وشرفَه، وتبِينُ وتفرّز عنهم الغلاةَ المبتدِعين، من الشيكاوية الضالّين، فنزلتُ عند رغبتِهم لما أيقنتُ أنّ الأمرَ تعيّن عليّ، والله المستعان.

ورغم جُهدِيَ المتواضِع، وبضاعتِيَ المزجاة في العلم، ارْتأيتُ تمريرَ قلمي على هذه الكرّاسةِ اللّطيفةِ، والنُّزولِ عند طلبِهم؛ ردّا وإفحامًا على أولئك الفئة المبتدِعة، وانتِقادًا لأصولهم التي خالفوا فيها الكتابَ والسنةِ، أردُّ عليها وأنقُضها بما تزوَّدتُّ به من روضة الأئمةِ، وأولي النُّهى والهِمّةِ، من نفائسهم البهيّةِ النديّةِ.

(١) سورة آل عمران [١٠٢].
(٢) سورة النساء [١]
(٣) سورة الأحزاب [٧٠-٧١]

كيف لا وقد فضّلَهم اللهُ بشرفِ العلمِ، وكرمَهم بوَقارِ الحِلمِ، وجعَلهم للدينِ وأهلِه مَنارًا، وللعبادِ أئمّةً وسادةً ونورًا.

إليهم يَهرعون عند النائبات، وإليهم يَفزعون عند الحاجات، فيكشِفون عنهم سُدَف الظّلّامِ بالعلمِ الّذي آتاهم الله، وفضّلهم به على غيرِهم، فلم يَتركوا حادِثةً نَزلت من قبلُ إلا استنبَطوا لنا في القرآن الحقَّ وأحسنَ تفسيرًا يُزيلها، حتى صِرنا غيرَ مُتحيّرين إذا ظهرتْ نظيرُ تلك الحادثة بعدهم.

فجزاهم عن أمة نبيهم أفضل ما جزى عالمَ أمةٍ عنهم، وجعلنا ممن قسم له من صالحِ ما قسم لهم، وألحقَنا بمنازِلهم وكرّمنا بحُبّهم ومعرفةِ حقوقِهم، وأعاذنا من مُرديات الأهواءِومُضلّاتِ الأراء، إنه سميع الدعاء.

أُولئك القومُ يحيا القلبُ إن ذُكروا *** ويُذكَرُ اللهُ إن ذكراهمُو ترِدُ

أئمّة النقلِ والتّفسيرِ ليس لهم *** سوى الكتابِ ونصِّ المصطفى سنَدُ

أحبارُ مـلَّتِه أنصـــارُ سنـّتِه *** لا يعـدِلون بها ما قاله أحدُ

أعْلامَها نشروا أحكامَها نَصروا *** أعْداءَها كَسروا نُقّالَها نَقـدُوا

همُ الرجوم لسُرّاقِ الحديثِ كما *** لكلِّ مُسْترِقٍ شُهْبُ السّـما رَصدُ

بُـدورُ تِـمٍّ سـوى أن البُـدورَ لها *** غَيْـبـوبةٌ أبـدا والنَّـقْصُ مطَّـرِدُ

وهم مدى الدّهرِ ما زالت مآثِرُهم *** في جِدّةٍ وانْجِلاءٍ مُنذ نا وُسِدُوا [(١)].

ومن الدواعِي التي أرغمتني على تلبية دعوةِ أولئك الكرامِ هي كالتالية:

- قد كنت نوَيتُ كتابةَ ردٍّ تأصيليّ عن الخوارج الشيكاوية أُبيّن فيها عقائدهم وآثارها ثم أختمها بنهاية عزله وخذعه، فجاءني اقتراحهم هذه وطلبهم، فرحّبت به كون ذِكرِ نبذةٍ عن الدعوة ومجددها وبيانِ مَبادِئها وأصولها؛ يتضمَّن ردّا وإغاظةً لكل مُبتدِعٍ ينتمي إليها، وذلك كيلَا نتخلّى عن تُراثنا فتَضيع حتى ينالَها أقلامٌ مأجورةٌ، تُحركها السّلطة الكافرة، أو مُراءٍ يتشبّع بما لم يُعط، يكتب بما نُمي إليه من فَسقةٍ، فيجور بقلمه ويُخلِط الحابِل بالنابِلِ، والغَثَّ بالسمين.

- لِأني لم أجد أحدًا من الإخوةِ الذين هم أحقّ بالنهوضِ لها منّي؛ سبق وأن كَتب درسًا شاملًا عن قيامِ جهادِ الإخوة، ويُدوِّن جهودَهم لتكونَ قصةً يُستفاد منها وعِبرةً يُتَّعظُ بها على مدى الأَجْيالِ.

---

(١) "الجوهرة الفريدة" –باب أصول الفقه-.

ولو وُجد كتابًا عن هذا الشأن كَتبه مُوحّد؛ فهو لم يُعايِن ما عاينّا لا سيما وقد حدثت نوائب كثيرة فيما بعدُ، والمخبِرُ ليس كالمعايِن.

- لأنقض للإخوة عرى أولئك الغُواة، ويَحذروامن أفكارِ الغلاة، ويعرفوا الشرَّ لتَصحَّ لهم مُجانبتُه لأن من لم يَعرف الشرَّ يوشكُ أن يَقعَ فيه كما قال الشاعِر:

(عرفتُ الشّرَّ لا لِلشّرِّ لكن لتَوقِيه *** ومَن لا يَعرفِ الشّرَّ مِن الناسِ يقعْ فيه).

فلا بُد للمُؤمن أن يعرف أحوال أهلِ البدَع، حتى يتميز عنهم ويصُون عقيدته عما هم عليه من البدع، ولذلك أجاز الشرعُ قدح الرجُلِ وانتقاده حيّا وميْتًا لغرض شرعي، لا يمكن الوصولُ إليه إلا بها، وقد جمعها بعضهم في قوله:

القـدْحُ ليــس بغِيبةٍ في ستّةٍ*** مُتظلِّـــمٍ ومعرِّف ومُحــذرِ

ومُجاهرِ فِسقًا ومُستفْتٍ ومن *** طلب الإعانةَ في إزالةِ مُنكرِ

وفي هذا يقول شيخ الإسلام: "أئمة البدعِ من أهلِ المقالاتِ المخالفةِ للكتاب والسنّة أو العباداتِ المخالفةِ للكتاب والسنة؛ بيانُ حالهم وتحذيرُ الأمة منهم واجبٌ باتّفاقِ المسلمين، حتى قيل لأحمدَ بنِ حنبل: "الرجلُ يَصومُ ويُصلِّي ويعتكفُ أحبُّ إليك أو يتكلَّمُ في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلَّم في أهلِ البدعِ فإنما هو للمسلمين؛ هذا أفضل"، فبَيَّنَ أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، وكان فساد أولئك أعظم من فساد استيلاءِ العدوِّ من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يُفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يُفسدون القلوبَ ابتداء". اهـ[1].

فلهذه الدواعي أردت أن أجمع كتابًا فارقًا بين الفريقَين، جامعًا بين وصفِ الحقّ وخاصيَّتِه ووصفِ الباطلِ ودحْضِ شُبَهِه ليزداد المطلع عليه استيقانًا في دينه وتحقيقًا في يقينه فلا ينفذ عليه تلبيس المبطلين ولا تدليس المخالفين للدين.

وقصدي ليس التشهيرُ بالآخرين، وليس ثمة بيني وبين أحدٍ ممن سأكتب عنهم عداءٌ شخصيّة، كيف وأنا لم أزل فتًى يافعًا أُعدّ من الصِّبْية، لما كنا في استرتيجيّة حربِ المدن، فالقضيّة ليس تشهيرًا أو عداواتٍ ولكنها الحقيقة.

---

(١) الفتاوى (٢٨/٢٣١-٢٣٢)

وقد ارتأيتُ أن أكتبها -رغم بساطتِها- بالعربية، لأنها اللغة السائدة وذات التراثِ الخالدة، فأردت تخليد الكتاب علّه سيُنتفع بها يومًا، وقد راعيت فيها التفحيم، لتطابق مقتضى المستنكر العنيد، ويستفيد من عِبَرِها وطرائفها ذو اللبِّ الرشيد، ولا يستغني عنها الجاهل الذي زُين له سوء عمله فظن أنه يأتي بالسديد، وسميتها بما يُشعر معناه، ويُسفر عن مقتضاه وهو **"خَذْعُ الْوَرَمِ،بِبَيْعَةِ أَهْلِ الْكَرَمِ"** [1].

* * *

(١) قال في لسان العرب: (خذع) الخَذَعُ القَطْعُ خَذَّعْته بالسيف تَخْذِيعاً إِذا قطَعْته والخَذْع قَطعٌ وتَحْزِيزٌ في اللحم أَو في شيء لا صَلابةَ له مثل القَرْعة تُخْذَعُ بالسّكين ولا يكون قَطعاً في عَظم أَو في شيء صُلب.

منهجي في الكتاب

١) ألفت البحث بحول الله وقوته على أبواب وفصول، لعل الله ينفع بها أقوامًا ويرتدع آخرون بالمحصول، ولعله جل جلاله يحدث بعد ذلك أمرًا؛ بأن يجعل بيننا وبينهم مودة، والله قدير، والله غفور رحيم، وقسمت أبوابها على النحو التالي:

الباب الأول: البداية وأهم ما فيها:

-تعريف الشيخ المجدد

-ذكر مبادئ الدعوة وقوامها.

- الواقعة التي قتلت فيها الدعاة وطلبة العلم.

- ظهور بوادر الغلو وتطوره.

الباب الثاني: العقائد الخارجية التي ظهرت، بيّنتُ فيها جهلَهم واستهانتَهم بالعلم، ثم عرّجتُ على العقائد التي نَجمَت على مناخ ذلك وأهمُّها :

- القول بأن الأصل في الناس الكفر.

- تكفير ساكني ديار الكفر.

- التكفير المسلسل.

الباب الثالث: الآثار التي نجمتها العقائد الفاسدة والنهاية.

الباب الرابع: أحكام فقهية يتعلق بهم.

٢) شرطتُ فيها تجنُّب الحشو والتطويل، فلم أُسهِب في سرد السّيَر إلا بما فيها الفائدة، وفي الرد لم أسْعَ في جلبِ الأدلةإلا بما تقوم به الحجة، وذلك لأقصّرَ وقت القارئِ العزيز، وأن لا أُعنَته بتبلبُل فكره، فمن أراد التبسُّط في المسائل والتدقيقَ فيها فليرجع إلى كتب أهل العلم.

٥) أبدأ عند الرد في كل مسألةٍ بعرْض أقوالهم كما وردتْ في رسائلِهم وتسجيلاتِهم، ولا دُخل لي فيها، سوى ما تقتضيه الترجمة، ثم أشرعُ في الرد عليهم بمناقشتها ومقارنتها ببدع الفرق الضالة، وأَحاوِل جاهدًا أن أُبيّن مذهب السلفِ الصالحِ في كل مسألةٍ، لتوضيح ما حاولوا تدليسَه.

٣) وبما أن الشيكاوية يؤكدون بأن مرجعهم الوحيد هو كتاب الله وسنة رسوله، ولا يقبلون بما سواها من الأقوال؛ فقد جَهِدْتُ أن تكون الرد من الآيات والآثار، وأقوال الأئمة الذين نتفق مع الخصمِ في عدالتِهم، ويعتمد الخصم عليهم ويستدل بأقوالهم، لأن الإستدلالَ بمن لم يكن عدالتُه ثابتًا بين الخصمَين؛ يؤدّي إلى الوقوع في خلافٍ آخر، على العدالة، بدل البحث عن الحُكم، ولذلك يقول العلماء: "من شروطِ الأصل: أن يكون ثابتًا بين الخصمَين".

٤) رتبت الكتابة بشكل ممتاز، فما كان حديثا وضعْتُه بين قوسين (..)، وما كان قولًا للسلف، أو نحوَه من الأقوال وضعْتُه بين مزدَوجتين "..."، وعرض أقوال المبتدعين أضعه بين علويتين ‘‘...’’ وما كان تصرفًا مني على بعض النقل وضعتُه بين معقوفَتين [..] مع الإشارة في الهامش إلى تخريج كل ذلك وعزوِه إلى المصدر المنقول، إلا ما زَلّ به القلم، والكمال لله وحده، وأما الآيات فلا يَخفى خطُّها وإطارها.

وخُلاصةُ القَول، إنا بذلنا جهدنا في تحريره، وحاولنا اختِصاره ولم نُثقِله، فإن وُفِّقناإلى ما رُمناه فذلك محضُ فضلِ الله ﷻ، وإن أخطأت فمن نفسي وتقصيري وانعجامِ لساني وقلمي، فانتصِحوا بما كان فيها من صوابٍ، واجتنبوا ما كان فيها من خطإ، ونبّهوني لأجنّبَ نفسي عنها، فإذا فعلتم ذلك فلكم صفوُها وعليّ كدرُها، والخيرَ أردت والله المستعان وعليه التكلان.

فربِّيَ العزيز الغفار، إني أعوذ بك من أن تكونَ قصدي تتبُّع العورات، والتحسُّس عن الزلّات، والبحث عن العثرات، لأفضِح أولياءك، أو أُفرغ ما في إناء عبادِك، واجز كل من أعانني وساهم في الكتاب ولو بشطر كلمة خيرًا، وارحم ربي من أهدى إليّ عيوبي ونبّهني على أخطائي، وأعوذ بك من خليلٍ ماكر عينُه تراني، وقلبُه يرعاني:

إن يسمعوا رِيبةً طاروا بها فرَحًا *** مني وما سمِعوا من صالحٍ دَفنوا

صمٌّ إذا سمِعوا خيرًا ذُكِـرتُ به *** وإن ذُكِرتُ بسوءٍ عندهم أَذنوا

جهلاً عليَّ وجبناً عن عدوِّهم *** لبئست الخلَّتان الجهل والجبنُ





الباب الأول

الإخوة من الداخل

الفصل الأول النشأة وبناء الأمة

بادِئ ذي بدء، نُسلِّط الضوء على الدعوة من بدايتها، ونذكُر نبذة عن مجدِّدها، لافِتًا إلى الظروف التي مرّ فيها، من بداية دعوته إلى مصرعه؛ كي يتجلّى للقارئ صورًا -ولو بسيطة- لذلك الجبل الأشم، الذي شُوّهَ سُمعته وسُمعة طلابه، وعاشوا بعيدًا عن المؤرّخين والكُتّاب كي يدوِّنوا جهودهم وما مرّوا به من محن قاسية، الثلة الثابتة المكلومة، الفوارس الغر الميامين، الذين جهِلتهم وخذلتهم أمتهم، فكانوا لوحدِهم أمة، فأحاول مستعينًا بالله أن أُطرف الكتاب ببعض مواقفهم.

وأنى لمثلي على قِلّة بضاعتي وقصور بياني وحداثة تجرُبتي في عالم الكتابة أن يبلِّل شفاه القلوب العطشى إلى هذا التاريخ، بل من أن يُروِّيَها بأخبار العز والسؤدد، وكيف لي أن أجرُؤ على سيرة من لا أُوَفّيهم حقّهم في بيان فضلهم وشرفهم،بل ولا تُسعفني الكلمات... لكن.. مُكرهٌ أخوك لا بَطل[١] ... وما حِيلتي وأنا مُضطرّ إلى ركوب خيل الكِتابة الجموح، حسبي أني لا آلو جهداً –وفاءً لهم ولأمتنا وأداءً للأمانة وشهادة الحق لله، ثم للتاريخ توطِئة-على أن نُبرِز شيئًا من صبرهم وثباتهم، ونحرّزهم بسِرد شيء من وقائع الدعوة من أن ينسب إليهم أفكار الخوارج الشّيكاوية [٢]، ونثبت أن الغلو والانحراف طارئٌ على الجماعة وليس من منهجها في شيء، والله المستعان وعليه التكلان.



---

(١) يريد أنه محمولٌ على ذلك لا أن طبعه العلم والكتابة، مثل: يُضرَب لمن يُحمَل على ما ليس من شأنه.

(٢) نسبة إلى إمامهم أبي بكر الشِّيكوي، وهذه النسبة أصح من الشكوي بدون الياء، لأن البلدة التي انتسب إليها هي شِيكو (**Shekau**) فلا يصح الحذف منها حتى لا توهِم النسبة إلى الشَّكْوَى.

المبحث الأول

تعريف بالشيخ المجدد:

هو الشيخ الإمام الوالد مجدد الجهاد والتوحيد، أبو يوسف، محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد، الداغري[١]أصلًا،الميدغوري سكنًا، الجاكُسِيّ مولدًا،البرناوِيُّ قبيلةً ونسبًا.

علَم من أعلام الإسلام، وفارس من فوارس النزال، حُر النفس عظيم الحلم جليل الصبر حصيف الرأي، ماجد الخلق سالم النية، شديد الاحتمال، صابرًا على الإدلال، جم الموافقة، جميل المخالفة، محتوم المساعدة، طيِّب الأخلاق، كثير البر والإنفاق، إن تَحدّثت عن خِفّة روحه ودَماثَة خلقه وطِيب معشره فلن توفّيَه قدره، حسبه أنه ما خالَطه أحدٌ إلا وأَحبه.

ولد في ٢٠/ذو القعدة/١٣٨٩هـ، في جاكُسْكُو بريف ولاية يوبِيه الشمالي، شمال شرقيّ نيجيريا، في بيتٍ عريق الأصل، وبين والدين مُتدينَين ومُلتزِمَين.

نشأ الشيخ بين والدين كريمَين وو الده من علماء الزوايا الصوفية[٢]، الذين يُعلّمون الصغار القرآن، وعُرف من والده السيد يوسف المناوءة للغربيّين المستعمرين وأفكارهم، مما جعله يترحّل بابنه محمدًا من ولاية يوبيه بعد ضغوط من قبل الكلاب المرتدين، عليه ليدخل ابنه مدرستهم، وانتقل إلى مدينة ميدغوري.

شب الشيخ في ميدغوري في بِيئة متديِّنة، وأتقن القرآن اتقاناً في المدرسة القرآنية التي يتولاها والده، ودرس علوم العربية وعلوم القرآن والحديث والفقه على أيدي علماء الزوايا في ولايتَي برنو ويوبي خاصة وشمال نيجيريا عامة، والتحق بالفصول الليلية التأهِيليَّة بمعهد الكانمي[٣]، وكانت مدة دراسته فيها سنة كاملة.

وبعد الإهتداء إلى العلم وهِبَةِ الله مفاتَحها له؛ عكف على الكتب يستنبط المسائل، ويَستخرِج الأحكام باجتهاده، وصار بما حباه الله من رحبِ الصّدرِ؛ مُتمكّنَ البيان، مُرهفَ اللسانِ، سريعَ الفهم، غزير العلم، قليلَ المخالفة.

إن تكلم أجزل، وإن حدَّث أفهم، وإذا خطب أبكى، ليس متفيهقًا ولا متشدقًا، تعلوه الوقارة والهيبة.

---

(١) الداغر: هي غِرْغِر، وهي قرية في بلدة غيدم بريف ولاية يوبيه شمال شرقي نيجيريا، وهي بلدة أمه في الحقيقة، لكنه ينتسب إليها وفاءً لها، ومولده هي "جاكسكو" وهي التي رمزت لها بال"الجاكسي"

(٢) الزوايا ج، زاوية، وهي المسجد غير الجامع ليس فيه منبر، ومأوى للمتصوفين والفقراء، وفي هذا الزمان يتخذون دهاليز بيوتهم بدلًا من المسجد.

(٣) معهد الكانمي في حارة "برنو إكسبريس" بميدغوري ولاية برنوا

ولما بلغ الشيخ أبو يوسف مبلغ الرجال، وأوتي حظًا من النّضوج العقلي، هاله حالُ المسلمين في بلاد غرب إفريقية، وما كانوا عليه من الانجِراء خلف الديمقراطية والعلوم الغربية ونبذهم وراء ظهورهم العلومَ الشرعية وتعاليم الدين الحنيف.

ويتحرق شوقًا إلى رؤية شرع الله تُطبَّق وتسُود الأرجاء، وتندرِس البدع والشركيّات بظهوره؛ فما من حركة ترنوا إصلاح المجتمع إلا وكان من أوائل المنضمين المؤيدين لها، فكان حاله كمن قال فيه الرسول ﷺ:**"(لو كان الدِّين بالثُّريَّا لنَاله رجالٌ من هؤلاء)"**[1].

فكانت بدايتُه التنظِيميّة والدعويّة مع جماعة "الإخوان المسلمون" في نيجيريا بقيادة المرتد الرافضي «إبراهيم الزكزكي» الذي اتقى بالإصلاح والسنِّيَّة، وأضمر تشيُّعَه للروافض الزنادقة المجوس، والذي كان هذا – أي التقيّة- هي أساس دينهم، وغرّ شبابًا كثيرًا من شمال نيجيريا باعتماده أسلوبَ تحميس الشباب، مستخدِمًا شِعاراتٍ برّاقة، من عداوةِ أمريكا وربيبتها دُوَيلة اليهود، وإثارة العواطف ضد الحكومة الكافرة.

بَيدَ أن الشيخ لما لاحظ بوادِر الرفض والتشيّعِ الإيراني، الذي أخذ في التوسُّع عام ١٩٩٤، فارقهم وصار عدوًّا لهم ومعلنًا خطرَهم ومبديًا وجوهَهم الكالحة، وانشق كذلك خلقٌ كثيرٌ ممن اغتروا أول الأمر بالجماعة.

ثم اقترب الشيخ من «جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة»، المقلِّدة لمشايخ جزيرة العرب، عُباد القصور المشدِّدين على عُباد القبور، حتى تبوأ الشيخ من بينهم مكانةً مرمُوقةً، وسُمعةً حسنةً لديهم جميعًا، لما يمتازُ به من شخصيّة فذّة وفِطنةٍ نجيبة، فعلّم ودرّس حتى قيل عنه: لا يُعلم أحد أعلم منه بالتفسير في شمال شرقي نيجيريا من السلفيين، بل نصّبوه أمير شباب السلفية في المنطقة.

ثم انفصل عنهم عام ٢٠٠٢، غير أنّه لم يستقل بنفسه ولم يناوئهم، وكان يتلطّف معهم ويدعوهم إلى عدم الموالاة والدخول في الحكومة الديمقراطية، فإنها أعدى من حمك الجرَب، ولا تداوى بالدخول فيها.

* * *

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وقال حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

المبحث الثاني

بداية الدعوة

في ذي القعدة١٤٢٣هـ، نفذ مجاهدو قاعدة الجهاد بقِيادة الشيخ الإمام أسامة بن لادن، -تقبله الله- غزوة منهاتن، والتي استهدفت الهيمنة الأمريكية، وكسرت أنفها وداست كِبرِياءها، الحدث الذي هز العالم، وقسم الناس إلى فسطاطين لا ثالث لهما.

- فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وهم الفئة الذين هبوا بخيضعة هذه الغزوة، وأعاد لهم روحهم الجهادي، وإرادتهم القتالية، فمنهم من هاجر إلى أرض الجهاد، ومنهم من لا يزال في أرضه يحاول تسعير لهيب الحرب فيها، أو قاعد ينصرهم لمّا لم يستطع حيلة ولم يهتد سبيلا.
- وفسطاط كفرٍ لا إيمان فيه، وهم الصليبيون واليهود، والذين أيدوا الحملة الصليبية، من أبناء يعرب خاصة والإسلام عامة، فراحوا يسلقون المجاهدين بألسنة حداد، ويتّهمونهم بصفات صنَعها لهم الصليبيون، لتشويههم وإبعاد الناس عنهم.

وخرج رئيس فسطاط الكفر قائلًا: "إما معنا وإما مع الإرهاب"، أي إما أن تكون ولائُك ونصرتك في صف الصليبيِّين على الإسلام، وإما أن تكون في صفّ المجاهدين.

كان أبو يوسف البرناوي يومها في حج بيت الله الحرام، وكان من آثار هذه الغزوة المباركة أن أيقظت في نفسه ما كان خامدًا، وأذكت في فؤاده ضميرًا لطالما كان يؤنّبه؛ ذلك أنه كان يؤلمه جدًّا ما صار إليه حال الأمة في كل أصقاع الأرض، من الشتات والضياع والذل والنأي عن الجادة، وما آلت إليه الأمة بعد مجد تليد، فلا تزال الأنباء تقرع أذنه وتؤرق ليله، في فلسطين وأفغانستان والعراق وسائر الأقطار، بل كان مما يطيل عليه السهاد ويتململ منها تململ السليم، تلك المذابح الجماعية التي يقوم بها النصارى في بلاده وفي بُعد خطوات عنه، فإذا أصبح ركب ظهر الشيهم، وإذا أمسى توسد ذراع الهم، وكأني بضميره يؤنّبه: ما تقول لربك غدًا إذا سألك عن تلك الدماء المسفوكة، أين نصرتك لها؟، أم اكتفيت تجاهها باللطم والعويل والخطب!!.

فجاءت هذه الغزوة لتُنقذه من كابُوسه هذا، وأحيت قلبه ورسمت له الطريق، وزرعت في نفسه رغبة ملحَّة في إصلاح أحوال الأمة في بلاده، ومحاربة البدع والشرك التي تفشت فيها، وما لبثت تلك الشجون حبيسة قفص قلبه، بل حوّلها إلى حياة وارتسمت طريقا واقعًا حين عبَّر عنها قائلًا:

هناك ما يُأرِّقني دائمًا، في ما يحدث في هذه البلاد، وهو توحّد الصليبيين وتسلحهم وتكنيزهم الأموال؛ إعدادًا لحرب المسلمين، يساندهم الحكّام والمتقاعدون من الجيش، فيتآمرون ويحتشدون خفية، ثم يقصدون بلدة مسلمة، فيُمعِنوا فيهم القتل، حتى إذا كلّوا وتشفّوا، يتدخّل الجيش لمنع المسلمين من الأخذ بالثأر، أي: حينما يثخنون في إخوانِكم فتغضبون وتخرجون للثأر؛ يتدخّل الجيش، أنت جئت تستشيط غيظًا لما حدث؛ من جثث محروقة وبقر بطون النساء وغير ذلك، فيعتقلك الجيش حينئذ، بحجة أن الوضع قد هدأ وأنت تريد إثارة الفتنة من جديد، ...

هذا ما حدث بالضبط في "كفانشان"، و"زَانغُونْ كَتَابْ"[1]،في "زانغون كتاب"استغرقت المجزرة يوم الخميس.... ويوم الجمعة، ويوم السبت، والصليبيون خلا لهم الجو فباضوا وصَفروا، ولما نُقل جُثث الضحايَا يوم السبت إلى مدينة "كدُونَا"؛ ثار مسلمو المدينة، وبثورانهم ونهوضهم؛ مُلئت المدينة بالجيش، وقد قالوا في البداية بأن تأخُّر تدخّل الجيش لعدم توفّر ناقلات جند، هذا ما قالوه ليبرروا تقصيرهم ويخفوا تآمرهم، لكن يوم الأحد لما كان الصليبيون المدللون سيخرجون للكنائس؛ طُوّقت المدينة داخلها وخارجها بالجند على الناقلات حماية للصليبيين !، رأيت هذا وفهمت أمورًا وعلمت أن وراء الأكمة ما وراءها ...، وكذا ما حدث في "تَفاوَا بَلِيوَا"، في بَوشي لما أسلمت امرأة من النصارى.

وتبع هذه المجازر ما حدث في "شَغامُو" و"لِيغُوسْ"، وغير ذلك في أنحاء متفرقة من البلاد، وكذلك ما يفعلونه في ولاية "بِلاتُو"، فمجمل هذه الأحداث، أعلمتني أنهم لن يزالوا يقتلون المسلمين حتى يفنوهم بهذه الطريقة.

وكذلك خروجهم في الصحائف ينتقصون من نبيّنا عليه الصلاة والسلام،.... يفعلون كل هذه الجرائم ثم يتوسدون الأرائك ويهنؤون بلذيذ عيش دون أن يتعرض لهم أحد، .... فهذه الأحداث ترتسم في ذهني فأتساءل: لماذا كل يوم إذا اعتُدي علينا؛ تطلع رؤوس لتهدئنا، وتأمرنا بالصبر وانتظار الحُكّام الكفرة حتى يأخذوا إجراءات مناسبة، كل يوم هذا هو ردة فعلنا فقط ؟!، فألهمني الله بأن الأمر ليس كذلك، فما يردع هؤلاء لينتهوا من شتم الرسول، ومحاصرة المسلمين وقتلهم جماعيًّا؛ إلا الجهاد،ثم أتساءل: لكن كيف نجاهد ؟، ومع من ؟، فألهمني الله أن أبدأ بالدعوة، .... فهذا هو أصل هذه الدعوة، أُسست لإذكاء نار الجهاد. اهـكلامه رحمه الله[2].

وقال: "﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ ﴾ أبعدّ المِسبحة يكون؟!، بل البنادق ترمون، ﴿ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ ﴾ أما يحزنك ما يحدُث في العراق؟ وما يحدث في فلسطين، وكشمير، وما حدث في الشيشان لم يُغظك؟ والحوادث المختلفة التي حدثت في هذه البلاد، من كفانْشان وغيرها ألا يُشْجيك ؟ لن تتشفّى من هذا أبدًا إلا يوم تقاتل في سبيل الله... فما من يوم كيوم الجهاد يُشفى فيه الصدور، ﴿ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ ﴾ بالجهاد في سبيل الله".

وهكذا عزم –تقبله الله- على كسر أغلال الوهم الذي يرزَح فيه بين مرجئة العصر علماء السلاطين، لما تعامَوا على الضلال، وتيقن عدم جدوى السير وراءهم؛ لنبذهم الحق وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا.

فدعا إلى التوحيد والجهاد، والبراءة التامة من الديمقراطيين وعلمائهم الشياطين، سنة ١٤٢٤هجرية، مع ما عُرف عنه من الشدة عليهم من قبل، في خطبه ومواعظه منذ سنة ١٤٢٢غير أنه لم يُزايِلهم إلا في هذه المرة،

---

(١) حكومة محلية في ولاية كدونا، شمال شرقي نيجيريا.

(٢) "نصيحة محمد يوسف عن الدعوة -الملف الثاني-"*من الدقيقة*، من (٢١:١٣|.٢٦:١١) ، هذه النصيحة فقدنا جزءها الأول، لذا لم ندر عنوانها ولا تاريخها، ولكنها عمومًا يذكر فيها مراحل الدعوة وما مرت به من ظروف.

حيث تغلب دافع الإيمان لديه على كل العواطف، فمضى يحرض على الطواغيت ويُنفّر من المدارس الأجنبية وحكم الديمقراطية، ويحض على الجهاد ويسعى سعيًا حثيثًا في جمع الأنصار ولمِّ شَعْث الموحدين.

وكانت له جولات دعوية كثيرة في أكثر ولايات نيجيريا، وفتح مدارس ومساجد لتعليم الناس التوحيد والكفر بالطاغوت.

وقد وُفّق لحشد مجموعة كبيرة من الإخوة الموحدين، يحدُوهم الغِيرة على دين الله، والحماسة لإقامة دولةٍ إسلامية، فأتوا إليه مبايعين من كل حدَبٍ وصَوب.



المبحث الثالث

مبادئ الدعوة

لقد أعلنت الجماعة موقفها تجاه الحكّام الطواغيت وقوانينهم عدة مرات، بأن الديمقراطية دين شركي يناقض التوحيد ويعارضه.

قال الشيخ أبو يوسف –تقبله الله: "ونحن لا نعتقد، ولا نتعامل، ولا نستخدم الديمقراطية، لأنها مذهب الكفار، واتّباعُها أو التعامل معها، أواستخدام نظامها كُفرٌ. فلا يجوز لمسلم أن يرشح نفسه، ولا أن ينتخب غيره، تحت ظل النظام الديمقراطي".اهـ[1].

وقد بين الشيخ أن تطبيق الشريعة واسترجاع المجد لا يكون إلا بالقوة والسلاح، وأن شفاء الصدور لا يُنال إلا بالجهاد، وأن الدعوة دعوة جهادية وليست سلمية.

قال الشيخ رحمه الله: "قال الله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ ﴾ هم لن يأمروك أن تترك دينك نهائيًا، فهم يعلمون أن دينك لو نُقص منه شيء فسُدَ كله، ودينهم لن يتغير بنقص [أو زيادة، بل هو باق على بطلانه]، تأمل قوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ ﴾ ، لتلتقوا في نصف الطريق، ... ولن يرضوا أن تتنازل إلا في الأصول، لن يهتموا-مثلًا- أن تترك بعض النوافل أو تترك جلسة الإستراحة [في الصلاة]، سيقولون: لا هذه سنة حسنة ولا ينبغي أن تتركها، فهم ما يكرهونه هو مصطلح: البراءة والولاء، إظهار الدين، جهاد، هذا ما يطالبونك بتركه، وهذا ما يحاربونه في العالم كلها، يقولون: "قد انتهى الجهاد، والديمقراطية هي الحل الآن، فاتركوا الجهاد، ومن أراد الديمقراطية فأفسحوا له !!!".

أما نحن فلا نريد الديمقراطية !،لو قالوا: الشعب كلهم انتخبكم، وحزبكم هو الحزب الوحيد، "حزب المسلمين !"، والمرشّح أنتم تختارونه من حزبكم ولن يقوم له منافس، والبرلمان كلها فُرّغت لنا؛ لقلنا لهم لا نريدها !؛ لأن هذا ليس طريق النبي صلى الله عليه وسلم وإن قبلناها [المنصب] من هذا الطريق هلكنا.

نستلم منهم الحكم بغير سفك دم!، وبغير وجع، ولا كُسر رباعية!، ولا شُجَّ رأس !، ولم يُبقَر البطون !، ولا القبور ملئت!، ولا فعلنا شيئًا !، ولا حرقنا محلًا!، ولم يُفجَّر شيء، هكذا مجانًا فقط!، أن تنسحبوا هكذا وتسلموا لنا الملك!، نحن لم نفهم هذا الطريق، والله لم أفهمها، نحن ما فهمناه هو ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ ﴾ هذا ما نفهمه. اهـ[2].

وقال الشيخ–تقبله الله- عن الدعوة: (وإن هذه الدعوة، -ليعلم الناس إن جهلوا- هي ليست دعوة للوعظ، وإنما الوعظ يكون من ضمنها، ليست دعوة للتربية، وإنما التربية من مستلزماتها، ليست دعوة للتدريس؛ وإنما

---

(١) "هذه عقيدتنا ومنهج دعوتنا" للشيخ طبعة فرسان البلاغ، (ص٣٧).

(٢) درس ٤٦ من صحيح البخاري (٣٦:٢١|٣٨:٠٩).

التدريس من ضروراتها، بل هي دعوة للجهاد، كل من حسب أنها دعوة أو تربية أو تعليم، أو نداء بلا هوية؛ فإنه لم يفهم الدعوة، هي دعوة وحركة جهادية، جماعة قتالية، وليست جماعة للدعوة فحسب.

نُربي الإخوة لأنه من ضرورات الطريق، ونُدرّسهم فيها لأنها من مقتضى الطريق، أصل هذه الدعوة أسّست ودُعي إليها لأجل الجهاد، لذلك لا يقولن أحد أنها حركة دعويّة فقط، (لا،هذه الحركة ليست حركة دعويّة ولا تربوية ولا تعليميّة،إنما هي دعوة جهادية قتالية، فليعلم من لا يعلم) اهـ[١].

أما موقفها من الفرق الضالة فقد بينت في كتبها وبياناتها ومنها الآتي:

-**<u>عن الروافض:</u>** "ومن منهج دعوتنا؛ أننا نرد على الرافضة الإمامية (المجوسية). لأننا نعتقد أن فضح عقيدة "الشيعة" وكشف أسرارهم والبراءة منهم من صميم عقيدة أهل السنة والجماعة، لأن "الشيعة"... المعروفة بـ (الرافضة). كانوا يطلقون اسم الشيعة على أنفسهم في الزمن الحاضر، ويقتصرون عليها، حتى خدعوا كثيرا من المسلمين بتسميتهم أنفسهم بـ"شيعة عليّ"، والأمر على خلاف ذلك، <u>إنهم الروافض عند أهل الحق، وحميتهم مجوسية، وأصلهم من اليهود، وليس من الإسلام البتة "إنهم كفروا بالله ورسوله</u>..."[٢] اهـ.

-**<u>عن الصوفية:</u>** وطريقة الصوفية التي انتشرت في بلادنا وصارت كالوباء في الأمة، والتي هي من أشد الفرق الصوفية كفرا وضلالا هي الطريقة التجانية، ومؤسسها أحمد التجاني؛ أضل من حمار أهله.[٣].

-**<u>مجملًا عن الفرق:</u>** والدعوة تخالف هؤلاء كما خالفت الفرق الضالة وسائر الطرق الصوفية، وتردُّ عليهم لأنهم خالفوا الكتاب والسنة والجماعة، واختلفوا فيهما فهم على غير هدي المصطفى.[٤].

* * *

المبحث الرابع

---

(١) من درس الثاني والأربعين من دروس "صحيح البخاري، في الدقيقة (١٠:٠٩،|١٥:١٦) ، وهي ترجمة من الهاوسا إلا ما بين القوسين، فإنما نقلتها حرفيّا بالعربية.

(٢) هذه عقيدتنا ومنهج دعوتنا – ط فرسان البلاغ، (ص٦٢).

(٣) انظر المرجع السابق (ص٧١).

(٤) المصدر الذي سبق بعد صفحة.

المنهج التعليمي والتربوي،

كان للشيخ وطلابه مراكز في ولاية بوشي وولاية كانوا وقمبي وغيرها من مدن شمال نيجيريا، وبما أن ولاية برنو هي معقل ودار الأرقم للإخوة؛ كان في معظم حكوماتها المحلية لهم مراكز ومندوبون، وفي العاصمة ميدغوري وحدها لهم مدارس ومراكز مختلفة، وأعلاها خمس مجالس للتدريس، وهي:

١ - مركز ابن تيمية: كان «الشيخ أبو يوسف» يلقي فيه الخطبة في كل جمعة، ويدرس يومي السبت والأحد تفسير ابن كثير، ورحيق المختوم، ويدرس صحيح البخاري يوم الأربعاء، بعد أن أتم رياض الصالحين، ويلقي فيه المشايخ المحاضرات العامة.

٢ - مسجد «الطائفة المنصورة» في حارة دُوْكِي Unguwan Doki : اتخذ فيها مجلساً لتفسير القرآن كلّ يوم الجمعة ليلاً.

٣ - حارة مليونيا قواترس، Millionaire Quarter's : يلقي فيها تفسير القرآن كل يوم الخميس بلغة كانوري، ولكنه نقل الحصة إلى مسجد ابن تيمية لأسباب أمنية.

٤- مسجد فِزَان Fezzan: كان يلقي فيه بعض الدروس، وينوب عنه بعض الدعاة في غيابه.

٥- حارة (لوان بور) Lawan bor: كان يدرس فيها رياض الصالحين مساء السبت بلغة "كانوري" ذات الأغلبية في ولايتي برنو ويوبيه.

٦- مسجد أبي هريرة بحارة (غُومارِي إِيَابُوت): ملتقى دعوي ومجمع للإخوة الذين يبتعدون من المركز ويلقوا لبعضهم النصائح لتزكية النفوس، وفي بعض الأحيان يزورهم المشايخ لنفس الغرض.

كان الشيخ الوالد-تقبله الله- لم ينفصل باسم خاص عن المسلمين، ولم ينقل عنه أي تسمية لطلابِه وإنما يقول في بياناته نحن أهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية، كما قرر ذلك في كتابه "هذه عقيدتنا ومنهج دعوتنا"، وأما الإخوة فهم مهاجرون وأنصار فحسب.

لقد اعتنى الشيخ بتربية الإخوة، وأفرغ كل وقته للمجالس والدروس العلمية، حتى أصبحت هي شغله الشاغل على مدار الأسبوع، قَلّما يفوته مجلس درس إلا أن يذهب لمحاضرة أو مؤتمر خاص في بعض المدن والولايات، وإن بذله وعطاءه واجتهاده هذه؛ رسخت قواعد الجماعة على نهج السلف الصالح، ونهلت من منهالهم الصافي.

فتنظم الإخوة بذلك وترتبوا، ولزموا سنة المصطفى في كل أفعالهم، فلا تكاد تصل إلى نقطة قريبة من مركز من مراكزهم في ولايات شمال نيجيريا؛ إلا واستقبلتك نفائح قراءة القرآن، وتذكرك هيئتهم بأيام الصحابة، لا سيما مدينة ميدغوري، التي فيها منبعهم وقام فيها نواتهم.

لا تراهم إلا ويخيل إليك أن القرآن يمشي بينهم، لتآخيهم والتزامهم وعفتهم، فالمرأة منقبة محجبة، تدني عليها من جلابيبها، والرجال أعفوا اللحى ورفعوا الإزار، يمشون في الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، متواضعين، قويهم يَحمي ضعيفهم وغنِيّهم يُواسي فقيرهم، وهذه الأخلاق الرفيعة، ونبذ السلوك الوضيعة، جعلتهم يتميزون من عامة الأمة، تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا بهمة.

وأما الصغار فقد فتِحت لهم مدراس خاصة لتحفيظ القرآن، وبخاصة المدرسة الملحقة بمسجد ابن تيمية، ومدرسة السلفية بحارة بلومكتو، يتعلمون القرآن مجوداً، ويحفظون الأوراد النبوية، ويلتزمون كذلك بالمظاهر والزي الإسلامي من لبس العمامة للفتيان، والحجاب للفتيات.



المبحث الخامس

أهم ما حاربها الجماعة:

لقد حاربت الجماعة البدع بكل أنواعها، وخصوصا البدعة التي هيمنت على غرب إفريقية؛ كزيارة القبور والطواف حولها، وعيد المولد وغيرها من بدع وخُزعبلات التجانيين وشركياتهم.

ولكن المنكر الأعظم الذي حرض عليها الشيخ هي شرك الديمقراطية والمدارس الأجنبية الإستعمارية، أي ما نطلق عليها "بوكو" فهما الود والسواع ويغوث ويعوق ونسر هذا الزمان ولات وعزى هذا الحين، ولقد كان لهما أبواقا ودجاجلة يروجونها، فما تصدى لهم في غرب إفريقية عامة وصدح بالحق من غير مواربة ولا مداراة سواه.

ومن شدة محاربته هو وطلابه لها ومقابلة علماء السوء وأنصارهم ومباهلتهم عليها؛ أطلقوا عليه وطلابه اسم "بوكو حرام" أي: الأفكار الغربية حرام.

ولا أدل على محاربتهم لها من قول أحد تلاميذه، الشيخ "محمد الثالث وودل"، في محاضرة ألقاها في مركز ابن تيمية،

قال فيها: "إننا نلام لأنه ما من موعظة أو محاضرة نقيمها إلا ذكرنا فيها الديمقراطية والمدارس الإستعمارية،! نعم فهل سمعت أن نوحًا عليه السلام أكثر من ذكر الصلاة؟، لكنه أكثر من ذكر تماثيل الود وسواع ويعوق ونسر؛ لأنها أصنام زمانه.

ونبي الله شعيب، هل سمعت فيما قص الله علينا من خبره، أنه أمر قومه بالزكاة، ويفصل لهم أحكام الصلاة، فعمّ يحذرهم إذن؟؛ {أوفوا المكيال} {ولا تخسروا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين}، لماذا؟ لأن تطفيف الكيل هو ما اشتهر في زمانه من الفساد، فلذلك كانت جل دعوته في تطفيف الكيل.

وكذلك نبي الله لوط؛ هل بلغك أنه أمر بالصلاة والصيام والزكاة والحج؟ كل هذه عبادة محمودة لكن جهوده ليست مصروفة إليها، بل كان ينهاهم عن أكبر فاحشة، وكل جهوده مقصورة على إنكارها، لأنها هي ما اشتهرت،

فنحن أيضًا سنصرف جهودنا لمحاربة الأصنام التي اشتهرت في زماننا، المدارس الغربية، والديمقراطية، والعمل تحت النظام الكافر، فلا نقيم محاضرة عن الصلاة إلا وأردفناها بقول: اجتنبوا الشرك الديمقراطية، والعمل تحتها حرام لا يجوز، وإن استهل شهر رمضان وأقمنا ندوات ومحاضرات عن تحري الهلال؛ زدنا عليها بأن لا تتبعوا الطواغيت في عدهم، وكذلك إذا تمت الشهر، لا ندرك مناسبة إلا وحذرنا منها؛ لأنها هي ما نتجهز لمحاربتها". اهـ[١].

وقال في موضع آخر في المحاضرة: "هذا ما نقرره ونمضي عليه أن بناء مائة كنيسة؛ أخف وأهون خطرًا من بناء مدرسة واحدة على هذا النمط الغربي، لا نشك في ذلك، هذه عقيدتنا وهذا ما فهمناه من دين الله، هاؤم

---

(١) محاضرة الشيخ ثالث وودل بمركز ابن تيمية،

مثالًا واضحًا: لو بُنيت مائة كنيسة هل سترى أبناء المسلمين فيها!، أو ترى أبناء إمام مسجد فيها؟، لا بل هم وحدهم يتعبّدون فيها [أي الصليبيون]، فما ينقصنا نحو هذه الكنائس هي هدمها لأنهم يجعلون لله ولدًا، وأما المدارس "بوكو"؛ فتجد فيها أبناء أئمة وأبناء شيوخ ينتسبون إلى العلم، وأبناء فلان وعلان من المنتسبين للسنة، وما يدرس في هذه المدارس أعظم خطرًا مما يدرس في الكنائس، فهذا هو الخطب الجلل". اهـ[١].

علمًا بأن الشيخ الوالد تقبله الله، يعتقد حرمتها-أي المدارس- وكفرها لمخالفتها لكثير من شرع الله، ومضادة كثير من أبحاثها لكثير من النصوص الصريحة، وينتحل خرّيجها أفكار الصليبيين الغربيين ويتشبهون بهم في الأخلاق والمعاملات، ويقلدونهم في الملبس والهيئة والسلوك، بل ويوالونهم باسم التحضر والتمدن؛ فلهذا لا يجوّز دخول مثل هذه المدارس[٢].

وقد كان رأيه في المدرسة أنها حرام وكفر، غير أنه لم ينقل عنه أنه كفّر طلابها على التعيين؛ كونه لا يرى الحجة قامت عليهم بعد، لغربة الدين وخفاء تلك المسائل وتلبيس علماء السوء على الناس وفشو الجهل، وهذاماقرره في كتابه "هذه عقيدتنا ومنهج دعوتنا"، فلو كان يكفرهم على التعيين لما توانا في ذكر ذلك في الكتاب إذ هي من أهم المصادر المرجعية للجماعة.

فهذا ما يعتقد، وهو ما قاله في حوار له مع صحفيّة لـ"بي بي سي"، إذ سألته الصحفية قائلة: يشاع بأنك تحرمالدراسةفي المدارس الحكومية والأجنبية "بوكو"، هل هذه الإشاعة صحيحة؟.

فأجاب الشيخ -تقبله الله- قائلا: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، حقا إنني قلت "إن هذه المدارس على هذا النمط الذي رسمه الصليبيون لا يجوز تعليمها، ويناقض التوحيد، لأننا لاحظنا فيها أمورا تناقض التوحيد، ولست أنا من استنبط تحريمها، فهناك من العلماء المعاصرين من أدركوا خطورتها باختلاط أمور تعارض التوحيد.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أفتانا شيخنا أبو مالك التميمي في "السؤالات النيجيرية" عن هذه المدارس فقال: "بالنسبة للمدارس الحكومية إن كانت في دولة كافرة حكومة وشعبًا، كدول أوروبا ونحوها من الدول الصليبية في إفريقية فلا يخلو الطلاب فيها من حالتين:

كبارا بالغين: فلهم حالتان:

-أن يكون الطلاب على الكفر الأصلي: فالأصل جواز استهدافهم وقتلهم، ولكن يراعى في مسألة قتالهم باب المصالح والمفاسد التي يقدرها أهل الشأن، فإن كان الحال أنهم لم يبدؤونا بالقتال تُركوا، لأن الإشتغال بقتال من قاتلنا أهم وأولى.

-أن يكون الطلاب من أبناء المسلمين الذين طرء عليهم الكفر بعد لحاقهم بهذه المدارس؛ فهؤلاء إما أن يكونوا بالغين تصح الردة منهم، أو مميزين دون سن البلوغ، فهؤلاء اختلف العلماء في صحة ردتهم، الشاهد أنه ليس من المصلحة استهداف مثل هذه المدارس، في هذه المرحلة، إلا إذا تترس العدو بها، ولم نتمكن من الوصول إليه إلا باستهدافها، والله تعالى أعلم. (السؤالات النيجيرية/١٥).

كقولهم بأن الشمس تمتص الماء من الأرض إلى السماء ثم يعود ويمطر، فهذا يعارض الآية التي في سورة المؤمنون، عندما يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾. وثم حديث لرسول الله ﷺ: أنه يحسر ثوبه حتى يصيبه المطر ويقول **"(لأنه حديث عهد بربه)"**.

وكذلك قولهم بأن الأرض كُرَوِيَّة تدور حول الشمس فهذا اجتهاد، والاجتهاد إذا تعارض مع النصّ لا يعمل به[1].

وكذلك أيضًا نظريتهم في أصل الإنسان وأنه حشرة قطعت مراحل تطوير عدة حتى صارت إنسانًا، وهذا كفر، جحد وتكذيب بآيات الله، فهذا الكفر بالله وأمثالها هي ما نطالب بإلغائها ونفيها ثم يدرس العلوم النافعة على منهج الشريعة الإسلامية. فلهذا نخلي من تعلم الطب أن يتطبب ويعالج، وأنتم الآن تعلمتم الصحافة والإعلام فأعطيناكم الخبر.

وآمر بالتوبة من دخلها وتخرّج منها وعلم أنه مخطأ، ومن لم يدخل فليعدل له ليدرس الصحيح، أما وهي مختلطة بهذا الشكل؛ فلا يجوز تدريسها وتعلمها بعد العلم بمفسدتها، والله لا يؤاخذ من عمل شيئا بجهالة".

وقال في إجابة على سؤال آخر في نفس الحوار: ونحن ننوي افتتاح مدارس منزهة عن الرذائل وما يخالف الشريعة، تضاهي تلك المدارس من ناحية العلوم النافعة من الهندسة والطب والحساب وغير ذلك، وفق الأطر الشرعية، ولنا حاليا مدارس ابتدائية ومتوسطة على هذا النمط. (مسجل ومنتشر).

كفيت ووَفَّيْت يا شيخنا، وألجمت الغلاة جمرة مفحمة، فأسكنك الله فسيح جناته ورضي عنك، فلا ينسب إليك بدعة من غلا في التكفير،ولم يرْعَ للتكفير أي شرط شرعي؛ فكفر بالظنة وعممها على الأمة وأصَّلها فيهم، فقتل وسبى، وبعد فنآى.

* * *

(١) الصحيح من القول بكروية الأرض؛ هي كروية الشكل، فقد قال بها عامة أهل العلم، ولم ينكره إلا القلة، وهذا ما اختاره شيخنا أبو مالك التميمي في "السؤالات النيجيرية"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٥/ ١٥٠: "اعلم أن الأرض قد اتفقوا على أنها كروية الشكل، ثم قال: والأفلاك مستديرة بالكتاب والسنة والإجماع، ثم قال: وأهل الهيئة والحساب متفقون على ذلك". انتهى. لكن ما أنكره العلماء هو القول بأنها تدور. أما كونها كروية لا ينافي أن تكون بساطاً وسطحاً ومهداً، فإنها سطح بالنسبة إلى الساكن عليها فهي مستقر له وبساط كالسطح، ولهذا ينسب اللهُ سطحيتها وفرشتها إلينا، كما في قوله: **فيآئحئخ ئم ئهبجفى** البقرة: ٢٢. وغير ذلك من الآيات أما المطلق منها؛ فإنها يحمل على المقيد المنسوب إلى ساكنيها.

المبحث السادس

دور علماء السوء

إن من حكمة الله سبحانه وتعالى في خلقه؛ أن يقيض للحق المعاندين له فيجادلون فيه، فيتضح بذلك الحق، وتظهر آياته وأعلامه، ويتضح بطلان الباطل، وأنه لا حقيقة له، ولولا قيامه في مقابلة الحق، لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق، فبالضد تظهر الأشياء، فلولا الليل ما عرف فضل النهار، ولولا القبيح ما عرف فضل الحسن، فكذلك الحق؛ لولا الباطل ما اتضح اتضاحًا ظاهرًا، فلله الحمد على ذلك.

ففي هذا العصر؛ علماء السوء هم من قام بدور الباطل، حين تصدروا للنفح عن السلاطين المرتدين، ووأد أي حركة تهد عرشهم، فإن أكثرت من الحض على وجوب القتال قالوا هذا سالك مسلك الخوارج المارقين ..وإن أكثرت من الحديث عن آلام الموحدين فإنه يفسد بهجة مجالس فقهاء السلاطين فتضطرهم اضطرارًا للدفاع عن السلاطين ووجوب التأني وانتظار "الحكام" ليأخذوا بالتدابير اللازمة، وما من داعية يقوم للدعوة والجهاد؛ إلا حسّروا رؤوسهم وشدقوا عن أفواههم لينافحوا عن آلهتم حكام البلاط المرتدين، ويجعجعوا بوجوب طاعتهم وأخذ الإذن للجهاد منهم.

وهذا بالتحديد ما قاموا به على الشيخ، فظل يواجه التحدِّيات من أولئك العمائم، فلقد كان لهم دور مهم في تشويه سمعة الإخوة، فأقاموا الدورات والندوات لمقابلة الشيخ وإبهاته أمام الشهود، ولكن عاد الرمي على النزعة[1].

حيث حاجهم الشيخ وأفحمهم وباهلهم على الدعوة، حتى يئسوا من ثنيه عن دعوته بالنقاش والحوار والمقابلات، فهربوا منهزمين، وتسللوا لوذًا من مباهلته، وفر علماءهم المعتبرون من مواجهته،وأرسلوا كلابهم العاوية ممن يتعالم ليسفسط ويشغب؛ ليستغلق على الشيخ الكلام ويسوقه إلى الهذيان، ويأتي بكلام يتناقض مع مبادئه، ليشككوا عوام الناس منه على الأقل؛ إذ لم يحسنوا نفض طلابه عنه، فيضعون أيديهم على أحكام الله وآيات الولاء والبراء في كتاب الله تمامًا كما فعل الحبر اليهودي بآية الرجم بالتوراة..

وهذا ما قام به الخبيث "عيسى علي فنتامي" –عجل الله بهلاكه-.

فقائل يقول: "إنه يحرم دخول المدارس، فلماذا يستطب ويستعلج من المشافي الحكومية؟ أليس أطباءها من خرّيجي تلك المدارس؟ فلماذا يحرم علينا التعلم فيها ويأتي ليتطفل هو فيها؟".

وقائل يقول: "السيارات التي نركبها والدراجات التي نعتليها والشوارع التي نسلكها كلها من بنات أفكار تلك المدرسة، فإذا أراد منا أن ننتهي منها فلا بد له أن يأتيَنا ببديل".

وقائل يقول: "إن النبي ﷺ ركب الحمار وأردف وأُردف عليها، فهل الرجل الذي جاءكم ينهاكم عن البدع الحديثة ويأمركم بالسنة؛ جاء على حمار أو غير ذلك ؟".

---

(١) - النزعة: الرماة، والمعنى عاد عاقبة الظلم على الظالم، انظر "الأمثال لابن سلام".

..الخ من قائمة أقاويل وأباطيل تثقل الأوراق بسردها وتضِيقُ بعَدِّها، يَضحكون بها على السذّج من العامة، الذين ليس لهم في العلم باع ولا ذراع، وإلا فإنها لا تُقاوم حجة ولا تُحق حقا ولا تبطل باطلًا، وأنى لها ذلك.

* * *

المبحث السابع

السعي لتخفيف حدة الدعوة

لما أيقن أعداء الله أن الشيخ قد تصدر لمعضلة أرهقت كاهل علماء نيجيريا عامة، وأن كلابهم وسحرتهم أخفقوا في تكبيت الدعوة وإخمادها؛ لجأوا إلى استخدام العنف والسطو، من قبل المخابرات بالمراقبة والتفتيش، والملاحقات الكثيرة له بأجهزتهم الأمنية، والسجن مرات عديدة، بغيتهم في ذلك كله تخفيف حدته وإخماد دعوته، وبلْو معدنه وإرهاب طلَبته.

وقد سجن الشيخ -على هذه الخلفية- بتهم واهية مزيفة لا أصل لها؛ فسجنوه مرة بتهمة أن له صِلات مع "تنظيم القاعدة"، وأن له ارتباط بمجموعة "طالبان كنمّا"، التي يرأسها المدعو: محمد علي،والتي قتلت جعفر محمود آدم طاغوت المرجئة.

رغم أن هذه المجموعة كفرت الشيخ وحاولت اغتياله إلا أنهم يلصقون به تهمة إنشائها، ففتشوه وراقبوه عن كثب لكنهم لم يجدوا برهانا يدل على تلك التهم.

وكان الشيخ يصبر على أذاهم ويستجيب دعواتهم له منشرح الصدر، رغبة في تحصيل جمع كبير من الإخوة، وإقامة الحجة على المعاندين الكفرة، رغم إهانتهم إياه، ورميه في سجون أرضية لمدد متفاوتة.

قال في الرسالة المفتوحة (المشهورة) موصفًا إستخفافهم به:

"إني أُستدعَى من قبل فأجيب وفي بعض الأحيان أطلب من المخابرات هاتفيا على أن أحضر فورا فأستجيب وأذهب إلى مكتبهم، فيتناسونني -رغم علمهم بوجودي-ولا يبدون لي أي اهتمام حتى أجلس عندهم قرابة ثلاث ساعات، ثم يحضر أحدهم ويقول لي: "إن الرئيس هو من يريد أن يراك والآن قد خرج في مهمة، فارجع ستُطلب في حين آخر"، فأرجع إلى البيت كئيبا، ثم أُستدعى في غدِها، فأذهب إليهم، وقد فعلوا بي ذلك مرارا ولا أكلم أحدا بهذا الشأن ولا أتذمر منها؛ لأني أعلم أن هذا من زبد الطريق ولن يستيقظ الأمة إلا إذاتحملنا كل هذا، والآن قد حان الوقت لأن لا نلبي دعوة أحد". اهـ رحمه الله[١].

* * *

(١) الرسالة المفتوحة في الساعة (٤:٣٥|١:٠٠|١:٠٥:٠٥).

المبحث الثامن

مرحلة التطوّر واستراتيجية التنظيم

تطوّر الإخوة بعون الله وأنشأوا لُجّانًا تقوم بشئونهم إداريًا وأمنيًا؛ لتربية الإخوة، واستنهاض الهمة والتكيُّف مع الظروف الملِمّة، فكانت على النحو التالي:-

- **مجلس الشورى**، تضم تسعة من الشيوخ، الذين انضموا إلى الشيخ وأيدوا دعوته فيما بعد، يناقشهم الشيخ لاستنباط الأمور التي استجد للجماعة، وإصدار أوامر مناطة بمصلحة الإخوة، ويطلعهم على خطبه ورسائله وكتبه، تفاديا من وجود مثلبة يتشبث المخالفون ليشمتوا بها الجماعة.

- **الولاة وأمراء المناطق**،هم نواب للشيخ في الولايات التي فيها نفوذهم ومراكزهم، ويرفعون له ما استجد في الولاية التي يلونها من أمن أو خوف فيفيدهم الشيخ أو يتصل مع الحكومة الكافرة لتقصي الأمر، وكذلك ينظرون في عمل اللجان ويقومون بمتابعتها من قبلهم.

- **لجنة التعقيب**، وهي التي تقوم بتعقيب كل اللجان ومراقبة سير أعمالهم، ومفاداة مجلس الشورى بها.

- **لجنة الدعوة**، يضم علماء وطلبة علم، ومن يقوم بخدمتهم ويرافقونهم في الجولات الدعوية، والسفر لإلقاء محاضرات وتفسير القرآن في رمضان ببلاد مختلفة.

- **لجنة الحسبة**، تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كحجر التسوق إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، ومنع الصخب أثناء الدروس، ومنع النساء المتبرجات من حضور المراكز، وكذلك يقومون بمصالح الإخوة وحراسة ركابهم من السرقة وترتيبها على نمط لا يضيق الطريق على المشاة والمارين.

- **لجنة الإقتصاد**، وهي تعنى بتمويل الجماعة، وتوفير الملزمات لتيسير شؤون الدعوة بالطرق التالية :-

- تبرعات مالية يقدمها الأثرياء من العوام لتنمية الدعوة وإنفاقها في سبيل الله.
- مساهمات مالية ينفق بها الإخوة بما اقتاتوا بأنفسهم من مهنهم وتجاراتهم الخاصة.
- موارد المزارع التي تحرثها الجماعة وتحصدها ثم تبيعها.

- رجال الأمن، وهم يعنون بأمن الجماعة ومنعهم من عمل كل ما سيثير الحكومة عليهم، فيقعوا في مشكلة هم في غنى عنه.

وأيضًا يقومون باستكشاف خلايَا التجسس التي تُراقب أعمال الإخوة وتتعقَّب بياناتهم ومحاضراتهم، ثم يرفعوا أسماءهم إلى الشيخ، ليعلم بمكانتهم ويأخذ حذره منهم.

- **اللجنة الخيرية**، وهي تقوم باستقبال الضيوف وقريهم، ومساعدة المستضعفين من الشيوخ والأرامل واليتامى.

- **لجنة التوعية**، وهي مؤسسة "خير الهدى" تقوم بتسجيل الدروس التي يلقيها الشيخ وطلبته في الأنحاء المختلفة، وتبث أشرطة الفيديوا على قرص"دي في دي" (DVD) والصوت تنشره بأشرطة صوتية، وتعنى بطباعة وتوزيع الكتب عبر مكتب الغرباء.

- **اللجنة العسكرية**، خلايا تقتصر عملها على حفظ أمن الشيوخ وحراسة المراكز، وتتدرب خفية على حمل السلاح والمتفجرات، وبعد ذلك تطورت وكبرت.

وبعد... فإن هذه اللجان أنشئت بالتدرج وعملها محصورة في مراكز الإخوة، يستخدمها الشيخ في تطوير نفسه والإخوة وتثقيفهم، وآخر اللجان إنشاء -حسب معرفتي- هي اللجنة العسكرية وذلك بعد تخوف الجماعة على نفسها.



المبحث التاسع

تخوف الطواغيت وبوادر الإضطهاد

هذا التطور والتنظم: جعلَت طواغيت نيجيريا تشعر بخطر محدق ينتقص من سيادتهم، ويحِدّ من نزواتهم(١)، ويؤلّب عليهم رعيّتهم، فأَوعزَت لكلابها العاوية أن تنبح بتشويههم لتنفير العوام عنهم، وتفتي بجواز قتلهم، حتى يتسنى لها اجتثاثها في لحظة واحدة.

فتمثل للأمر العملاء المطيعون، والحمر حملة الأسفار المذعنون، وعلى رأسهم الطاغوت جعفر محمود آدم إذ قال في رسالة يحرض فيها لاجتثاث الإخوة: "إن شعلة يمكن إطفاؤها بدلو ماء؛ فسوف تضطرم إذا استهين بها وتركت تتأجّج، حتى لايُقدَر على إطفائها بالصهاريج".

وكان أشد الكلاب نباحًا وأخبثهم، المدعو: "بشير كشيرًا"، هذا الشرير الذي لم يدع حديثًا تُوجب قتال الخوارج إلا وساقها على الإخوة، ولم يدع محفلًا ولا مأتمًا إلا ولغ في إنائهم بسب وقذف عباد الله، وسبّح بحمد رؤسائه وشياطينه، حتى بلغ به الأمر أن ألّف كتاب في قدح الإخوة، ولم يزل يتفنّن في إيذاء الموحدين، حتى شفى الله صدورنا من هذا الكلب وأراح أسماعنا من عوائه بكاتمة كتمت أنفاسه وطلقة فلقت رأسه، نسأل الله أن يسقيه ردغة الخبال.

وفي الوقت الذي تحرض الكلاب العاوية من علماء السلاطين على الجماعة، يستفز الطواغيت الإخوة في كل الولايات التي فيها نفوذهم.

فمثلًا في ولاية كانو، حاولُوا منع الإخوة من صلاة الجمعة في مسجدهم، مسجد "ابن عبد الوهاب"، وحشدوا خنازير الشرطة واستعرضوهم، يرجفون بالناس أن:"لامكان لهؤلاء الأراذل في الوطن، ولن يصلوا اليوم جمعة"، لكن الإخوة لا تهيبهم التهديدات، بل هذاهما يحفز حماسة الشباب، و- الذباب لما ذيد عنه حريح-، فاتصلوا بالشيخ أبي يوسف وأعلموه الخبر، فأمرهم بالمغاداة إلى المسجد يوم الجمعة والإكثار من تلاوة القرآن، وأمرهم بإقامة الجمعة إذا حان وقتها وألا يهتموا بأولئك الأنذال، كما الكلاب تنبح للسحاب فوقها، وأعلمهم بأن خطرهم ليس حقيقيّا وإنما مَغزاهم من هذا استفزاز وتَحريش ليَرَوا رَدّة الفعل، فتمثل الإخوة لأوامر إمامهم، واكتظ المسجد بالناس بُكرة، حتى إنه لم يتجمع المصلون بتلك الكثرة قبل هذا، كما أفاد بذا خطيب المسجد ووالي الولاية من قبل الشيخ، الشيخ "محمد الثالث وُودِل".

وكذلك فعلوا في برنوا، حيث اختلفت عدة الصيام بين الإخوة والحكومة المرتدة، فاختلف يوم العيد تبعا لذلك، فصام الإخوة يوم عيد الحكومة، وأرادوا أن يصلوا العيد في غده، فنعق علماء السلطان ونهقوا، وأفتوا بصد الإخوة ومنعهم من صلاة العيد، وقالوا لطواغيتهم ما قاله ملأ فرعون له ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾(٢)،أي "يفسدوا رعاياكم بأن يقتدوا بسفههم وتمردهم عليكم مغترين بحلمكم عليهم"،

---

(١) النزو السمو والرفعة، أي: يقلل من جاههم وسلطتهم على الأمور.
(٢) [سورة الأعراف -١٢٧].

واستطردوا قائلين: "وقد أوجب الشرع قتال الخوارج وجعله من أولى الأولويات، فكيف تذرون هؤلاء القوم يؤسسون الفتنة ويشقون عصاكم"!.

استجاب الطواغيت لِنِداء ربائهم وأحبارهم من عملائهم، فأنشأوا قوات مكونة من الجيش والشرط، أطلقوا عليها Operation Flush Out، وذلك في سنة ١٤٢٩هجرية، يضعون قيودًا مشدّدة لركاب الدرّاجات، وذلك بلبس خوذة بلاستيكية وارتداء زي برتقالي، ويمنعونهم من إرداف أكثر من شخص.

وذلك للتخلّص من العمائم التي يلبسها الإخوة ولباسهم البيض العربية السنية، واستبدالها بالخوذة والزي الموحد، ساعين بذلك لإخضاعهم وإذعانهم للحكومة، وراغبين بأن تحدث من جانب الإخوة مشاغبة أو عصيان، فيتخذوها ذريعة لقمع الدعوة وإخماد شرارة الجهاد المنقدحة في نفوس الشباب.

تظاهروا بجلد الأفعى الناعم في بادئ الأمر، وأظهروا أنهم لا يريدون شرا بالإخوة، وأبلغوهم بأنهم يخشون وقوع حوادث مروعة لركاب الدراجات فقط، فإذا خرج الإخوة فليكونوا متميزين وليسيروا في تجمع خاص بهم؛ كي لاتمسهم كلابهم بسوء، غير أنه سرعان ما عادت لعترها لَمِيس[1]، فأبدوا نواياهم الحقيقية وكشروا عن أنيابهم على أولياء الله.

فتصادموا مع الإخوة مرات عدة، واعتقلوا الخاصة والعامة منهم، أذكر منها أن أحد الإخوة مر على حاجز لهذه القوات، فبادروه بالسلام فأبى أن يرد عليهم؛ لأنهم خليط من مرتدين ونصارى، فأما المرتد فليس أهلًا لردالسلام عليه ولا للإلقاء عليه ابتداء، وأما النصارى فقد روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام...).[2] لم يبدأهم الأخ بالسلام عملًا بهذا الحديث، فسلموا عليه هم، فما رد عليهم كونهم سلموا عليه استهزاء وأن أكثرهم من المرتدين، فاستشاط المجرمون غضبًا، وأوثقوا يدَي الأخ وأوسعوه ضربًا.

صبَر الإخوة على هذا وأكثر منه ولم يحركوا ساكنًا، وكان الشيخ يذكرهم بما أصاب المسلمين الأوائل، من أمثال بلال وآل ياسر، وخباب وابن مسعود، فصبر الإخوة على المضض، واتخذوا من سير الصحابة سلوى لهم[3]، وتحملوا وتأنوا منتظرين الظروف الملائمة وأمرًا من شيخهم بالتحرك للانتقام وتحويل الديار إلى برك من دماء المرتدين والصليبيين،فكان الإجرام الأخير الذي قامت به تلك القوات بحق الإخوة هي القشة القاصمة للظهر.

وذلك في يوم الخميس، ١٧لشهر جمادى الآخرة١٤٣٠هـ، حينما الإخوة في طريقهم لجنازة أربعة إخوة ماتوا إثر حادث سير، رأوا أخًا يعذب من قبل جنود "عملية الإحمرار" فوقفوا لنجدته عملًا بقوله عليه الصلاة

---

(١) العتر: الأصل، لميس: اسم امرأة. واللام في لعترها بمعنى إلى، مثل عربي يُضرب لمن يرجع إلى عادة له سيئة.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٦٧).

(٣) سلا المحب، أي فارقه ما كان به من هم.

والسلام: **(انصر أخاك ظالِمًا أو مَظلومًا)**[١]، فأطلق أولئك الأوغاد على الإخوة النار برصاص حي، وجرحوا عشرين شخصا من الإخوة أكثرهم إصابته بليغة، غير أنه لم تُسجل حالة وفاة، ولله الفضل والمنة.

ومما زاد الطين بَلّة وقلوب الإخوة غيظًا، أنهم ذهبوا ليتبرعوا بدمائهم للمصابين بعد نقلهم للمشفى، فألفوا الجيش يحاصر المستشفى الذي نقل إليه الإخوة، وتوعدوا الإخوة بأنهم إن تجرأوا على عبور الطريق الفاصل بينهم سيفتحون عليهم النار أيضًا.

حينها كان الشيخ في سفر، فقام الدعاة من مجلس شُورَاه بتهدئة أعصاب الإخوة وتصبيرهم حتى لا يُفتات على الشيخ، وفي مساء الحادث آب الشيخ من سفره، وأمر لجنة الإقتصاد بجمع تبرعات لمعالجة الجرحى، وفي غده ألقى محاضرة نارية، أرسل خلالها رسالته المفتوحة الشهيرة، يذكر فيها أئمة الكفر من الحكومة مبينا لهم أنه لن يعفو عن هذه الإجرام، ولن تمر بغير حساب.

ومما قال في بيانه: "لن نستمع لأحد وقد قرّرنا، لن نكتب رسالة لأي رجل، ولن نستمع لأي رجل، لن نُفاوض أي رجل، ونكرر بأننا لم نرض بهذا الإجرام، هذاالاعتداء لن نرضى عنه، ولن نعفو أبدًا وسنثأر... ونحمد الله سبحانه وتعالى بأن أرانا من الإخوة مرتبة لم نكن نحسب أنهم ارتقوا إليها؛ [من الجلد والثبات] فله الحمد على ذلك،... لأنه ما كان لنا أن نعرفَ منهم ذلك إلا في مثل هذا المجال، هذه منحة من الله وعبرة وتطوّر ومَفرَحة تستحِقّ أن يُسجد عليها لله شكرًا؛ إذ أنه ما كان التظاهر بالشجاعة ولا التفيهق بها؛ دالا على عدم الخوف من البُندُقِيّة، ولا حملُها يدُل على عدم خوفِك منها، وإنما أن تُرمى فلا تُولِّ دبرك، وتَرى الدم فلا تهرُب، فالحمد لله. اهـ[٢]



---

(١) رواه الترمذي وحسنه، وتمامه: قلنا يارسول الله نصرته مظلومًا، فكيف أنصره ظالما؟، قال: (تَكُفّه عن الظُّلمِ، فذَاكَ نصرُك إيّاه).

(٢) مصدر سبق ذكره من الدقيقة (٠٠:٢٢:٢٨ | ٠٠:٢٦:٤٠).

المبحث العاشر

بداية التسليح والمواجهة

علم الشيخ أن الوقت قد حان للتحرك إلى الجهاد، فمن الدروس التي أدركها في هذه الحادثة:

- أنه إذا لم يتحرك ويبادر فسوف يقوم الطواغيت بحصدهم.

- علم أن الإخوة قد نضجوا ويستطيعون التجلد والمصابرة على القتال.

فأمرهم الشيخ الإخوة ببيع عقاراتهم وسياراتهم وممتلكاتهم ليتسلحوا بأثمانها، استجاب الإخوة لهذا النداء بحماسة منقطعة النظير، وراحوا يقدمون الغالي والنفيس، فالتاجر يبيع متجره جميعا وينفقها في سبيل الله وآخر يجعلها وقفا للجهاد، وصاحب سيارة أجرة يقدمها رخيصة في سبيل الله، والمرأة تبيع حليها وأكثر متاع بيتها وتقدمه في سبيل الله، ولم يكن الشيخ –طبعًا- ممن يأمر ويخالف، بل سار في المقدمة فأنفق كل ما يملك في سبيل الله مقتديا بالصديق أيام العسرة، بلّ المولى بالرحمة ثرى هذا الرجل العظيم؛ فإنه والله فارس لا يُشق له غبار.

مضى الشيخ في مهمته غير مبال بكثرة الباطل ولا انتفاشه، فأعاد تشكيل الجند ورتب ألويته وعبأ سراياه، وعين (الشيخ أبو عامر البرناوي) أميرًا على الجيش وجعل تحته ثلاثة أمراء لقّبهم: أمير الفئة، وأمر كل منهم أن يجند أربعة قادة مع كل قائد منهم ألف مجاهد، وعقد لكل سرية منها راية بيده، ورفع في ساحة مركز ابن تيمية لواء ضخمًا نقشُه كلمتي الشهادة؛ إيذانًا منه بالجهاد، فبكت الأعين لأنها لأول مرة ترى في حياتها راية التوحيد مرفرفة.

هي مشاهد رائعة ومدهشة، أبكت العيون فرحًا بأمر تشاهده لأول مرة في تاريخ الأمة، مالم تسمع به إلا في كتب السير والتاريخ، فلله در هاتيك الوجوه ونضر الله أفعالها.

أرسل الشيخ بما جمعوا من الأموال ليُشترى المستطاع من الأسلحة ويُهرّب بها إليهم، وأمر الإخوة الذين تدربوا على المتفجرات أن يصنعوا ما تيسر منه قبل تحرك جيش الردة.

وصلت للإخوة بضع أسلحة من كلاشنكوف ومسدسات وقليل من الذخائر، أما أغلب الأسلحة فقد قبض عليها رجال الجمارك إثر سلوك المهربين طريقة مكشوفة لأعين العدو، واكتشفت حكومة نيجيريا ذلك فتحركت قبل وصول الأسلحة الأخرى، ونشروا جنودهم حول المركز حيث الإخوة مجتمعين لايبرح جلهم المركز، وبدؤوا باستفزازات للإخوة.

لم يختر الشيخ وطلابه طريق الذل، ولا أعطوا الدنية في دينهم، بل جمع الشيخ طلابه وخطبهم خطبة بليغة، حثهم فيها على التجلد وألا يتزعزعوا لانكشاف أمر الأسلحة وعدم وجود غيرها، ومن جملة ما قال لهم:

"إن الله فرض علينا القتال، وأمرنا بالإعداد ولم يشترط علينا أن تكون قوتنا مجارية لقوة عدونا، بل فرض علينا إعداد ما استطعنا من القوة، وقد علمتم ما يجري اليوم من استفزازات وتجهيز للقضاء على الدعوة، وعلمتم أيضًا أننا لم نستطع إعداد ما يكفي لتجهيزكم والزج بكم في قتال عدو كبير جدًّا، غير أننا نرى أن هذا

الأمر محض اختبار من الله لأقوالنا، أنا قلت مرارًا إن دعوتنا هذه دعوة جهادية وأنتم رضيتم ووافقتم، فقد آن أوان الاختبار لهذه الأقوال، هل هي أقوال جوفاء فارغة أم تصدقها الفعل، وإني عزمت عليكم ألا تولوا الأدبار لهؤلاء الكفرة، توكلوا على الله وذودوا عن حماكم"، انتهى بتصرف.

وكان هذا مساء الجمعة لليلتين من شعبان سنة ١٤٣٠هـ، كبّر الإخوة واستبشروا، وأخذ كل سلاحه وعتاده –طبعًا السلاح الأبيض-، وأعطي لكل مجموعة مكونة من عشرين إلى ثلاثين رجلًا رشاش كلاش يحمله قائد المجموعة، بينما يسانده بقية الأفراد بالسيوف والرماح والنبال، وشكلت نوبات حراسة للمركز، وبات الإخوة ليلتهم على وجل، يرقبون في أية لحظة تهجم عليهم قطعان المرتدين.

لم يجرُء المرتدون على الهجوم تلك الليلة، وأصبح الناس آمنين ليوم السبت وقام الشيخ بإلقاء درس ذلك الصباح، ومضى هذا النهار هادئا دون أن تنشب القتال، وكان الإخوة في تعبئة كاملة مستعدين لأي خطر قد يداهمهم، وكان العدو أيضًا مدجَّجًا بسلاحه ينتظر ساعة الصفر لينقضّ على فريسته كما يظن، فقد كان يمني نفسه بأن مهامّه لايعدوا كونه نزهة أو عملية صيد عادية، مستهينًا بخصم عنيد لايعرف الهزيمة؛ ينتصر أو يموت، بل يرى الموت مكرمة تساق إليه ومفخرة يتباهى بها.

والباذلين نفوسهم لمليكهم *** للموت يوم تعانق وكرار

لايشتكون الموت إن نزلت بهم *** شهباء ذات معاقم وأوار

يتطهرون كأنه نسك لهم *** بدماء من علقوا من الكفار.

وأمّا في ولاية بوشي فقد تحركت الشرطة والجيش وداهموا مركز الإخوة هناك، فلم يستسلِم الأسود ودافعوا مستميتين عن عرينهم، وشنوا هجومًا مضادًّا على مخفر الشرطة الرئيسية بـ "دُوتْسِن تَنْشِن"[1] وبعض المباني الحكومية في الولاية ولكنهم لا يملكون أسلحة وذخائر للسيطرة على تلك الأمكنة، مما سهل للشرطة الكافرة استرجاعها بعد اشتباكات عنيفة، وأسروا كثيرًا من الإخوة وزجّوا بهم في سجن داخل الولاية، والتي فُتحت فيما بعد وفُك مسجونها ولله الحمد.

وفي صباحها تطايرت شرارة لهيب الحرب من تلك الولاية لتتّقد جذوتها في مدينتي دماتروا وبوتسكوم في ولاية يوبي، وسيطر الإخوة على مخافر كثيرة في مدينة بوتسكوم واستولوا على أسلحة كثيرة، ولكن ليس لهم خبرة وتجربة بها ولا تدربوا عليها، فاسترجعتها الطواغيت بعد مهاجمة مركزهم، وتفرق المجاهدون شذر مذر.

ولنعد إلى ميدغوري مركز الإخوة وبلدهم الأم، فقد جن الليل يوم السبت ٣/شعبان، فيها وهدأت الرجل والأصوات، وأُسلمت الجفون إلى الكرى، بيْد أن رهبان الليل اصطفوا أمام مولاهم يستعطفونه ويتضرعون إليه ويجهشون بالبكاء مستنجدين نصره، حتى انبلج الفجر وانقطع التهجد بأداء الفريضة، صلى الإخوة وأخذوا

---

(١) حي في مدينة بوشي.

مواقع حراساتهم متربصين هجومًا محتملًا، ولم يكذب العدو اليوم ظنونهم، ففي مساء هذا اليوم، تقدمت طلائع العدو متجهة صوب المركز، فصده عباد الله بصدور عارية، وردّوه على عقبيه مدحورًا بحول الله.

كان هذا التقدم من عدو الله بهدف القيام بهجوم استطلاعي لردة فعل المجاهدين؛ لذلك تسارع العدو بالانسحاب حين اصطدم بمقاومة عنيفة، غير أن الإخوة لم يمهلوه ليعاود هجومه، بل شنوا عليه هجومًا معاكسًا في تلك الليلة.

ولقد ترجحت الكفة لصالح الإخوة في يومي الإثنين والثلاثاء، وهاجموا فيهما مخافر الشرَط ومنّ الله عليهم باغتنام أسلحة كثيرة وأحرقوا أكثر مخافر الشرَط في مدينة "ميدغوري"، وذبحوا كثيرا منهم ذبح النعاج.

بدأت زمام الأمور تنفلت من يد الحكومة الكافرة، وسيطر الإخوة المجاهدون على الأحياء الرئيسية للمدينة سوى حي المطار وأحياء قليلة، وطهروا تلك الأحياء من بيوت الشرك والفساد كلها كالكنائس ودور الزنى وحوانيت الخمر حتى مساء الإثنين، تضيفت الشمس للغروب وآذنت بالرحيل حمراء وكأنها تسبح في أنهار الدم التي بدا دفقها بالسيلان.

أسدل الليل غلائله وهدأت الحركة، ورابط الإخوة في ثغورهم آخذين حذرهم وأسلحتهم، ونام بعض الإخوة من فرط التعب والإرهاق وتحامل البعض يراوحون بين أرجلهم وجباههم يتضرّعون بإنكسار لله الواحد القهار، يسألونه العون والتثبيت فلقد تيقنوا أنه ليس لهم حول ولا طول ولا قوة إلا بالله سبحانه وتعالى فهو وحده الغوث والعون في هذه المحنة العبوس.

أذّن المؤذن الفجر صباح الأربعاء ٧/شعبان/١٤٣٠ هـ،ومع إشراقة الشمس وصياح الدِّيَكة ابتدأ عهد جديد، إذأتى الشيخَ نبأ بأن الأعداء قد تحشدوا ونزلوا بالمطار.

وذلك إثر إدراك الطواغيت لإرادة القتال الصلبة لدى الموحدين، وعجز وزارة داخليتهم من حسم المعركة، فانتفشت لخطورة الموقف، وأرسلت تعزيزات ضخمة، وأوعزت لكلاب قواتها الخاصة أن تنزل إلى الساحة، وسمحت لها باستخدام كل العنف لإبادة المجاهدين، فبلغت المحنة ذروتها بقيام الجيش النيجيري بحملة شعواء على الإخوة في يوم الثلاثاء،وقام بقصف عنيف بالدبابات والمدافع الثقلية وجابه المجاهدين بالرشاشات الثقيلة والمدرعات، ودارت بينهم مواجهات طاحنة دامية، أزهقت أرواحا كثيرة بين الفريقين.

ولكن القتل قد استحر في صف المجاهدين؛ حيث لايجدون مضادات يواجهون بها مدرعات ودبابات العدو، ولا يجدون متاريس تقيهم قصف مدافعه، وتجندل في هذا اليوم القائد العام أبو عامر البرناوي–تقبله الله-، حين جابه دبابة وجهًا لوجه، حاملاً اللواء التي عقدها أبو يوسف له وقتل في رفقته جمع من الإخوة، وأبو عامر ليثٌ هصور دقيق الجسم صغير الحجم، طويل القامة، يُخيل لك إذا لمحته أنك تستطيع حمله على كفك من غير عناء، أشبه ما يكون بالبراء رضي الله عنه،

ترى الرجل النحيل فتزدريه *** وفي أثوابه أســـدٌ هصور

ويعجبك الطرير فتبــتليه *** فيخلف ظنك الدجل الطرير

وحمل اللواء بعده الشيخ عبد الله ميدغوري –والي مدينة ميدغوري من قبل الشيخ- أحد الآساد وقور متواضع يحبه كل من خالطه، فقتل هو أيضًا وسقط مع عدد من الإخوة صرعى -تقبلهم الله- صباح يوم الأربعاء.

اشتد الهجوم وحمي الوطيس، واقتاد القتل خيرة الرجال، وأوشك الحصار أن يودي بمن بقي حيا من الإخوة المجاهدين؛ حيث كان زخم العدو شديدًا من ثلاث محاور، فاضطر الشيخ مساء هذا اليوم يوم الأربعاء، لاتخاذ قرار جريء، فأمر الجند بالانسحاب من المحور الشمالي؛ كونه الثغر الوحيد الذي كان هادئا، ولحسن الحظ كان منطقة قريبة من أدغال وعرة جدا، وكان فيها بساتين تمكن الإخوة من التسلل عبرها، وأمرهم الشيخ بتغيير ملامحهم حتى يتسنى لهم التخفي، والإنسجام مع العوام؛ للتحوّل إلى فصل جديد من مراحل الصراع، حرب العصابات، أو للهجرة إلى بلدان أخرى حيث إخوانهم المجاهدون في العالم.

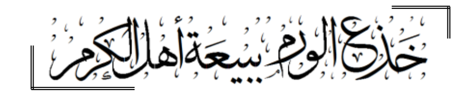
غير أن الشيخ آلى أن لا يلفت وجهه لعدوه، ولا يشمت به أعدائه، وقدم نفسه ليحمي ظهر طلابه المنسحبين، أخبرنا من نثق بعدالته، أن الشيخ لما بقي في عدد قليل من الجنود قالوا له: "انج بنفسك ياشيخ، فإننا نخشى على الدعوة من بعدك"، قال الشيخ لهم :" لا بل أبقى هاهنا حتى ألقى ربي صابرًا، وإني إن تيقن العدو من نجاتي؛ جدّ في الطلب فأرهق المجاهدين كثيرًا، أما إن تيقن بمقتلي فسيخفف من الطلب، ويبتهج بمقتلي حتى ينسيه نشوة النصر مطاردة الإخوة، فيخططون لعدوهم بعدُ وهو في غفلة، وإن مت أنا فإلى الجنة بإذن الله، وأما الدين فله رب سيحميه" اهـ

واستشهد خلال هذه الوقعة جمع من طلابه ومن أبرز قادة الجماعة الشيخ القائد أبو عامر البرناوي، ودكتور أبو آدم الأدماوي، والشيخ عبد الله ميدغوري وأمير الحسبة محمد كاشارِي، وأُسر الكثير من المجاهدين، وأسر الشيخ الوالد في اليوم الخميس ٨/شعبان/١٤٣٠ هجرية، وقتل مساءها، فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

ارتقى ومضى شهيدًا نحسبه والله حسيبه، رافع الرأس، عزيز النفس، حرّا أبيّا، كريما وفِيّا، لم يعط في دينه الدنية، ولم ينم على الضيم أبدًا، ولم يداهن في الحق أحدًا، محرضًا على القتال ومسعر حرب لو أنظرته المنية.

ومن أقواله رحمه الله: "(تصوّر !، إن كان الله يُوبِّخك على عبد جائع لم تطعمه،ومريض يفترش السرير في المشفى أو بيته لم تعده-ولست أنت من تسبب في مرضه-، فيُوبِّخُك لعدم عيادة هذا المريض !، فكيف بمسلم يُذبَّح في "جُوس" ؟، ومن ذُبح في "زانغُونْ كَتَاب"؟، ومن ذُبح في "كَفانْشانْ"، "لَانْتَانْ"، و"إِبِي"، و"بَانْتاجِه" و"يَلْوَانْشانْدَامْ"، و"تَفاوَ بَليوَا"، وفي كانوا وكدونا؟، المسلمون الذين ذُبّحوا في "شاغامُو" و"لَيْغُوسْ" ؟، إذا أوقفنا الله وقال لنا: (استنصرتك فلم تنصُرني) ماذا نقول؟، هذه هي المصيبة، إذا كنت ستُسأل عن جائع لم تُطعمه؛ فالسؤال على أخيك المسلم الذي يُقاتَل ولم تنصره، من باب أولى وأحرى....".

وقال "كيف بمسلم تُنتهك أعراضه أمامه وهو ينادينا، يا مسلمون !، يا مسلمون !، أغيثوني أنجدوني؟، ...تدرون ما حدث في "زانْغُون كَتابْ" !، "زانغون كتاب" هذه، هذه التي في كدونا، سنة ١٩٩٢، لما بدأت الحرب - تعلمون أن مثل هذه الفتنة إذا حدثت يفر المسلمون إلى ثكنات عسكرية أو مخافر شُرَط-.ففزع المسلمات إلى مخفر الشرطة واجتمعن هناك، ولكن الشرطة أيضًا صليبيون ومن نفس القبيلة التي قامت بهذه المجزرة.



فلما هرع الصليبيون إلى المخفر، تظاهرت الشرطة بأنهم خافوا فتسوروا الجدران هاربين، وتركوا النساء، فجاء الصليبيون وحاصروا أولئك النسوة، وأمروهن بأن يقلن: "أُوب جيسوس" أي "جيسوس هو الأعلى"، فقلن ذلك، وماذا بعد أن قالوا ؟، أليس تركهن، لكنهم طلبوا منهن أن يرقصن إذا تغنوا بغناء الكنيسة، وطبعًا غنَّوا ورقصت النسوة كلهن، بما فيهن المرضعة وأولات حمل، وما إن تعِبن حتى كبّلوهن ورشوا عليهن البنزين وأحرقوهن وهن أحياء !، فلو نسي كل المسلمين هذا؛ فلن أنساها أبدا، ولذا أكررها في أكثر مواعظي لأني لم أنسها ولن أنساها، وقد دونتها في مفكرة لي سوداء أني سأنتقم وآخذ بالثأر. اهـ[1].

وكان محلّ محبة المسلمين، وتقدير أعداء الدين، وبكت عيون الصغار والكبار بارتقائه، وسرت روح الجهاد نفوس الشباب بتجندله، وسعروا لهيب الحرب في غرب إفريقية وتلك لعمرُ الله سيرةالنبلاء:

علوٌ في الحياة وفي الممات، حياتهم للأمة نور ونصر، وموتهم للناس إحياءٌ وبعث...فرحمة الله عليك يا محمد فلقد تركت فراغاً لا يملؤه أحد وأورثت القلوب لوعةً لا يسكن لهيبها إلا بلقياك هناك في الجنان بإذن الله،

ولله در الشاعر يوم قال فيك وفي أضرابك:

فتى مات بين الضرب والطعن مِيتةً *** تَقُوم مَقامَ النّصرِ إذ فاته النّصرُ

وما مات حتّى مات مضرب سيفِه *** من الضّرب واعْتلَّت عليه القنا السّمرُ

فأثبت في مُستنقَع الموتِ رِجلَه *** وقال لها: من تَحت أَخمَصِك الحشرُ

غدا غدوةً والحمد نسجُ ردائِه *** فلم ينصرف إلا وأكفانُه الأجرُ

تردّى ثِياب الموت حمرا فما أتى *** لها اللّيلُ إلا وهي من سُندسٍ خُضرُ

مضى طاهر الأثواب لم تبق رَوضة *** غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

عليك سلام الله وقفًا فإنني *** رأيت الكريم الحرّ ليس له عمر[2].



(١) في "فسّرن أبولكاكا" الملف الثاني، بين الدقيقة (٠٠:٣٢:٥٠ | ٠٠:٣٧:٢٥) بمسجد ابن تيمية.

(٢) من رثاء الشيخ أبي عبد الله أسامة للشيخ أبي مصعب تقبلهما الله، امتثلت بها لمناسبتها وتطابقها على الوالد تقبله الله.

الفصل الثاني: المرحلة الجهادية

وبعد... فقد كان من تدبير الله أن دامت الحرب لأربعة أيام كاملة، مدة قياسية جدا، مدة لا يعقل أن يصمد جماعة عزل يحملون بضعة أعيرة نارية وأسلحة بيضاء حتى في وجه عصابة مسلحة، فضلا عن جيش معزز بأسلحة ودبابات وترسانة كبيرة كجيش نيجيريا، موازين مختلفة بكل المقاييس: جيش مدرب مجرب قوي يعجز عن حسم المعركة مع مجموعة قليلة لم تعرف من الحرب سوى اسمه، هذا محض معية الله وفضله، له الحمد في الأولى والآخرة.

***

المبحث الأول

اجتماع فلول الإخوة

لم تمُرَّ من الواقعة الدامية -التي هي في حقيقتها نصر وفتح مبين-إلا شهر أو شهرين، حتى نهض القادة الأفذاذ، والذين ولّاهم أبو يوسف بنفسه واختارهم أمراء لجنده، ليُعيدوا نشاطهم ويَنفُضوا غبار الذلّ عن أمتهم، فأمة محمد صلى الله عليه وسلم لها إرادة قتال لا تنطفئ، فاختاروا أبابكر الشيكوي عليهم كي يكون خلفا للإمام الراحل، وذلك بتوصية وإشارة من الشيخ يرحمه الله؛ لما كان يظنه به من خير.

ولعلك –أيها القارئ الكريم- تودّ أن تعرف من هو الشيكوي، وأية خصلة نال بها تلك المرتبة التي حازها؛ من ثقة الشيخ به وحب الإخوة له ورضاهم به.

نعم... لك الحق أن تعرف من حاله شيئًا تتمكن به من استيعاب الأحداث في أيامه، فأرع لنا اهتمامك كي نوقفك على لمحة يسيرة من حياته، تحت هذا السؤال التالي:

أضواء على شخصية الشيكوي

كُنيته أبو محمد الشيكوي، أما اسمه فأبو بكر بنُ محمد، ولد في بادية نائية تُدعى"شيكو" بريف ولاية يوبيه، شمال شرقي نيجيريا.

ونشأ نشأة غليظة، لم يَعرف فيها ألوان الترف، ولا مظاهر الثروة، في حياة بدويّة قاسية، مما دفعه إلى التخدم عند الزرّاع ليَقتات على نفسه بالأموال التي يعطونه مقابل الأعمال التي يُكلفونه بها-حسب إفادته هو عن نفسه-، وتركَت هذه الحياة القاسية أثرًا سيّئا في نفسه، وأكسبته أخلاقَ الأعراب السيئة، كالفظاظة والشحّ والجفوة، كما أنه اكتسب منها صفاتًا جميلة، كقوة التحمّل والحزم والصرامة وثقة بالنفس، وإصرارًا ورباطة جأش فذة.

وقد تنقّل على علماء الزوايا حتى حفظ عندهم القرآن –حسب إفادته-، ثم انتقل من الحياة البدويّة إلى ميدغوري ودخل معهد (High Islam)، حيث حصل فيها على بعض المعلومات العلمية، غير أنه ترك المعهد متبرأً منه دون أن يكمل الدراسة، لما التقى ببعض شيوخ السلفية؛ كونها مدرسة صوفيّة تجانية،ليتابع تعلّمه في تصفّح الكتب رغم عدم تأهّله لها، مما جعل علمه سطحَيّا، مرتبطًا باطلاع الكتب، يعكف عليها ويُترجم منها ويستفيد، مستعينًا بما تعلّم في ذلك المعهد من بعض العلوم العربية.

و لما صدَع الشيخ أبو يوسف رحمه الله بدعوته إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك الديمقراطية، كان من السابقين من طلبة العلم إلى استجابته، فكان خير عون للشيخ في دعوته.

وحينها كان شديدَ العكوف والاطلاع على الكُتب، يُراجع الشيخ ومن كان نابغًا كأبي عامر البرناوي تقبله الله فيما استشكل عليه.

وتتميز أطروحة محاضرته بالحماسة والبساطة والهزل وكثرة الأمثال، فالشباب يقصدون دروسه ليس للانتصاح فقط، بل للتسلِية والفكاهة أيضًا، فكانت دُروسه أكثر تحشدًا من دروس غيره، وكان بارعًا في الإقناع والجدال.

وكان الشيكوي شديدالحزم والورع والتقوى -فيما يبدوا-، شديد الزهد في الدنيا آنذاك؛ يلبَس خشِن الثياب ويأكل جَريش الطعام، علمًا أن رِزقَه كان حينها مُقدّرا، إلا أنه ظهرت له مواقف قد تُثبِت زهادته، أذكر أنه كان له دراجة نارية قد أكل عليها الزمان وشرب،[1] فأراد بعض الإخوة الميسورين أن يشتروا له غيرها رفَض رفضًا قاطعًا، ولم يقتنع حتى احتالوا عليه في استبدالها، وكان إذا أُهدِي له ملابس رقيقة لايقبلها أو يتصدق بها إن قبلها.

ومن ورعه آنذاك أنه مر يومًا ببائع تمر فأراد أن يَشتريَ منه، لكن البائع وهبها له وأبى أن يُقايِضه إجلالًا له، فرفض هو قبول تلك التمر ولا شِراءَها منه؛ ورعًا من أكلِ شيءٍ بدينه.

فلتلك الصفات الحميدة التي تظهر فيه، ولحب الإخوة له وتعلّقِهم به، قدّمه الشيخ أبو يوسف على كل الدعاة وقرّبه وجَعله نائبًا له عندما يُسافر لمهمة الدعوة أو غيرِها.

نكتفي بهذا –أيها القارئ- لنعود لاستكمال الكلام عن سَيْر الأحداث بعد مبايعة الشيكوي.

هكذا توحّدت الراية بتلك البيعة، وحشد القادة فُلول الموحدين وجمعوا شتاتَهم؛ ليُشعلوا جذْوة الجهاد، فجَمعوا ما تيسّر من الإخوة وأطلقوا عليهم اسم "جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد".

وقد استجاب لهم جمع غَفير من شباب الإسلام والتحَقوا بهم، فقد كان لصمود الشيخ أبي يوسف وطلابه وتفانيهم على الحق؛ نموذجًا حيًّا حرّك الهِمموأحيا العزائم وأيقظ روح الجهاد.

فتكاتفت الجهود وشُرع في تكوين المسيرة، وبُذل المستطاع؛ لاستِنهاض الهِمم، والنفْخ في ضِرامه الذي اتّقد.

وحُمل البشرى للأمة في رسالة صوتية من القائد العام (أبو فاطمة السلفي) –تقبله الله-، ولعلنا نودّ أن نستمتع بإلقاء نظرة على محتوى تلك الرسالة، فهي تحمل بشرى سارة، شعْشعت الأمل من جديد، في نفوس كاد اليأس أن يتربع على عرشها، فيا لشوقنا!، ما هي يا ترى في تلك الرسالة، يقول تقبله الله وأعلى منزلته:

"الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبي بعده، أبشروا بما يسركم بعون الله، أيها الأمة المحمدية؛ فإن دولة الإسلام قادِمة، على يد المجاهدين في نيجيريا، لا تيأسوا لظلم دولة الكُفرية، وإعانتِهاعلماء السوء جهارًا نهارًا،وأبشروا بما يسؤكم، أيها الطغاة المرتدون، فإن فجر الإسلام قادمة، وأما ما تسفكوا من دماء إخواننا في برنو وبوشي وسائر البلاد؛ فسيكون لكم نارًا وبركانًا ودمارًا، ولعنة إلى يوم القيامة.

---

(١) أي: أصبح قديما جدًا.

وأما أنتم أيها العلماء، المزورون بالأكاذيب، المسرورون بما أصاب ابن يوسف الميدغوري، إمام أهل السنة والجماعة في بلاد إفريقية، ألم تعلموا أنها شهادة ونعمة!، وهي منيته وأسمى أمانيه ؟!، وامنعوا أنفسكم الموت إن كنتم قادرين، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾.

وكما قال الشاعر:

من لم يمت بالسيف مات بغيره *** تعددت الأسباب والموت واحد

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون".

فبتلك الرسالة البسيطة، زُف إلى الأمة بشرى إقامة جهاد عظيم، في بلاد استمرأ جل أهلها الذل والهوان، فلبى الأسود تلك الدعوة، وعادوا إلى الساحة ولما تجف دماء شهدائهم، وانبروا لإذكاء نار القتال ولما يرزح أسراهم في الأغلال، فأوقدوا نار الحرب من جديد، النار التي ظن المرتدون أنهم أطفؤوها للأبد، فإذا هي تشتعل لتحرقهم في عقر دورهم، ولم تفارق بَسَمات نصرهم الموهوم محياهم، أخزاهم الله وأدام للنار اشتعالها عليهم.

وقد تطورت مسيرتهم حيث وفدوا على مجاهدي "تنظيم القاعدة" في الصحراء؛ كي يستفيدوا من تجاربهم وإرشاداتهم؛ إذ أنهم أهل الفضل والسبق بالجوار، فنسّقوا التواصل معهم وكان الارتباط قويا آن ذاك بهم وجرى موافدات ومراسلات بينهم، يفدون إليهم فيدربونهم ويمدونهم بما من الله عليهم من الأموال والخبرات.

وهكذا –بعون الله- اتقدت جذوة الجهاد، وأصاب المجاهدون ثأرهم من جزّاريهم، وشفوا صدور الثكالى واليتامى، حيث صالوا وجالوا في عرض شمال نيجيريا وطولها، فلم يدعوا مركزا للشرطة إلا اقتحموها أو أرعبوها.

وعشرات العمليات الاقتحامية والاستشهادية على كنائس النصارى المحاربين، الذين لطالما أذاقوا المسلمين الويلات ومرّ العلقم، وجرعوهم الخسف والهوان.

هكذا سارت المعارك في هذه البلاد في حرب عصابات دامية، يصول المجاهدون على فرائسهم في أوقات يختارونها، وكان المرتدون ينتظرون الردى التي قد تخطفهم في أية لحظة، وكان صف المجاهدين يشتد تماسكه ويصلب عوده، حتى غدونا يومًا ليتفاجأ الكل بورم غثيث بدأت تسري في جسد الجماعة.

المبحث الثاني

بداية انحراف المسيرة

بدأ الشيكوي يُظهِر بوادِر الغلو شيئا فشيئا بصمت، من نفي العذر بالجهل في الكفر مطلقًا، وتكفير المسلمين القاطنين في دار الكفر بأعيانهم، واستحلال دمائهم وأموالهم، وتغيّرَ أسلوب الجماعة في تبليغ الدعوة والتعامل مع العوام تغيّرا جذريًا، وعامل–الشيكوي- مقربيه من الجماعة بالاستبداد والأنانية.

فكتب "التنظيم" فرع المغرب له رسالة مناصحة غير أنه لم يستفد منها بل تمادى في الانحراف والغلو، ونتجت هذه الأفكار مفاسد جسيمة، أدى إلى تنازع الإخوة واختلافهم إثر ذلك وانقسموا إلى فرق:

- قسم يأيد الرأي ويدافع عنه.
- وقسم ينكره ويخالفه بشدة.
- وآخر قابل الغلو بغلو آخر، قابل الإفراط بالتفريط، فسلك مسلك المرجئة، وتقاعد عن الجهاد.

بيد أن السواد الأعظم من المجاهدين وقفوا متحيرين، لأنهم لم يجدوا دليلا من الفريقين يعتمدون عليه، فالشيكوي أمر القادة بأن يمنعوا الجند من الاستماع لأي أحد من المخالفين، وحظر عنهم الرسائل والبيانات إلا ما خرج من طرفه، فبذلك لم ينتشر حُجج المخالفين بين الجند، إلا ما سمعوه من القادة من أن "فلان يحرم الفيء، وفلان منافق، وعلان يخالف الإمام ويستهين به.

فلا رسالة إلا ما خرجت من الشيكوي مزخرفة بالتعسف والإسهاب في عرض الدلائل لينمق فكرته ويدلس بدعته.

ومن بقي منصفًا يفتي ويسعى للصلح بينهم فقد شوههم في بياناته ونهرهم بل وقتل بعضهم مما جعل الجماعة تغمر في بحر الجهل والغي.

مما أدى السواد الأعظم من المجاهدين إلى الوقوف مع الشيكوي يعززهم بذلك وجود معظم القادة الميدانيين الذين ما انفكوا عن الشيكوي كأبي سعد الباموي، ومحمد سلفي -رحمهما الله-، مما جعله أقوى ممن خرج عليه، وإن هؤلاء القادة الذين وقفوا معه استطاعوا بعون الله كبح جماحه وتخفيفها نوعا ما إلى استشهادهم، لأنه كان من قبل مختفيا في البلاد لا يلتقي مع أحد إلا هؤلاء القادة،كما كان يتهمهم فيما بعد بالخيانة؛ إذ فرقوا بينه وبين جنده سنين، وسمع غير واحد، بأن هؤلاء خانوه وأبعدوه عن جنده سنين طوال.

فبدأ بالأمر بجرد المخالفين من الأسلحة وعطلهم وأقصاهم، الأمر الذي سوغ للمخالفين الإنفصال عنه، وتشكيل جماعة جديدة أسموها "أنصار المسلمين في بلاد السودان"، يقودها أمير الجند؛ أبي محمد البوشاوي ومعه معظم شرعيي الجماعة من أمثال الشيخ أبو أسامة الأنصاري محمد أول الغومبوي[1] -رحمه الله-،بيد

---

(١) نسبة إلى غومبي (Gombe) مدينة في وسط شمال نيجيريا.

أنهم أيضًا فرطوا في العذر بالجهل، فعذروا المنتخِبين بجهلهم، وكثُر في صفوفهم الطامعين المترفين، مما أضعف كيانهم يومئذ.

هم حازوا بالشرعية فكانوا أكثر منه علمًا، وهو حاز بالقادة والجند فكان أكثر منهم شوكة، وما هي حتى أمر الشيكوي بملاحقة رموز المخالفين وإعدامهم، وراح ضحية ذلك الشيخ العالم أبو أسامة الأنصاري -رحمه الله-، الذي كان رأس الجماعة بعد أسر البوشاوي، وأما بقية الأعضاء والرموز فقد أُسر أكثرهم من قبل الحكومة المرتدة، فرج الله عنهم وعن أسرى المسلمين جميعًا.

وبعد مقتل هؤلاء وأسر بعضهم تحولت الجماعة المنفصلة عن الشيكوي إلى عصابات تهدف لجمع الأموال فقط وتكنيزها باسم الإعداد، فتهاجم البنوك وتخطف الرهائن وتفاديهم بأموال، وإن رأيتهم هجموا مخفر شرطة أو حاجز تفتيش فذلك لتشتيت العدو وإرباكه، ليسهل عليهم عملية اقتحام البنوك والإختطاف، همهم بطونهم وجيوبهم، والكثير منهم كان متأثرًا بأفكار "القاعدة"، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كما أخبرني بذلك قادتهم الملتحقون بركب الخلافة.

وأما الساحة الشيكاوية؛ فبخلوّها من العلماء وطلبة العلم؛ نهج بعض الشباب في ميدغوري نهج الغلو بفعل الجهل، حيث شَططوا في معاملتهم مع العوام، وغدوا فيها كقطاع طرق.

أذكر أن لهم أحياء واسعة في شمال شرقي مدينة ميدغوري، قرب محطة القطار، سيطروا عليها سيطرة شِبه كامل، وسمّوها "فلوجة"[١]، فلا يقترب أحد من هذا الحي، حتى وإن كان من مُؤيديهم إن لم يكن معروفًا لديهم، أو أتى يبغي الالتحاق بهم بدون تزكية؛ إلا ورموه بالتجسس وأعدموه، بحجة أنه سيُحشر على نيته، يستدلون بحديث الجيش الذي يغزو الكعبة[٢]، فصار الداخل فيها مفقود، والخارج منها مولود، وستأتي الرد على هذا الفكر إن شاء الله.

وقد قدر الله أن راح جراء هذا الفكر عدد من الإخوة، لما التقوا بمن لا يعرفهم من الشباب في ذلك الحي، وأما معاملتهم مع العوام في هذا الحي فحدّث ولا حرج،ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فقد انضاف إلى فكر الشباب في تلك الحي من ازدراء العوام؛ تكفيرهم ونهب ثرواتهم، فكانوا مثلًا إذا جاعوا يقومون بنهب العوام وإذا حفوا سلبوهم مركوباتهم، وإذا خطبوا فتاة وامتنع وليها من تزويجهم؛ هددوه بإشهار السلاح حتى يُزوّجهم.

---

(١)سموها بالفلوجة، تفاؤلًا وإن كان هذا فيه نوع من الظلم إلا أنها تشبهها من ناحية الصمود وضراوة القتال نوعًا ما، فقد سطر المجاهدون فيها أروع الأمثلة من البطولة والفداء، حيث صمدوا فيها قرابة ستة أشهر وشتان بينها وبين الفلوجة شتان، ومع ذلك كله ليس كل المجاهدين انخرطوا في هذا الوحل المنزلق، لأنهم ليسوا منحصرين في ميدغوري ولا في ولاية برنوا، بل كانوا متوزعين في ولايات عدة، غير أن أهل هذا الحي بالتحديد هم من اعتنقوا فكر الغلو أكثر من غيرهم، بل يرمون بعض المجاهدين من سائر المناطق والولايات؛ بأهل الشبهات والتأويل.

(٢) الحديث رواه البخاري برقم ٢١١٨، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم) قالت: قلت يا رسول الله: "كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم" قال: (يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم).

وهذه المعاملة القاسية هي الأسباب المجلبة لسخط الناس ونفورهم عن المجاهدين، ووقوفهم مع الطواغيت في محاربة المجاهدين، محاربة جماعية في حادثة عرفت باسم "كَاتُو دا غُورَا" أي حملة العصيّ، وانخرطوا تمامًا بعد إخراج المجادين من هذا الحي خاصة، ومن مدينة ميدغوري عامّة؛ بالجيش، وأطلقوا عليهم "قوة المهام المشتركة المدنية"، وأوقعوا أنفسهم في وحل الردة، والله المستعان.

* * *



المبحث الرابع

مرحلة ظهور الغلو علناً وتطوّره

مرت الأيام هكذا وتوالت السنون في كبوة ونهضة، ومحن ومنح، من حرب مدن إلى دخول الغابات والأدغال[١]، حتى استشهد قادة الجهاد وجذوة الحروب، الذين ولاهم أبو يوسف البرناوي، وأسر بعضهم، والذي كان آخرهم أبو سعد الباموي.

حينئذ سنحت الفرصة لأبي بكر الشيكوي واستغل هذا الوضع ليقوم بتبديل منهج الجماعة علنًا، وتغيير القواعد التي عليها بُنيت في وضح النهار إلى عقائده الخشنة الخارجية، التي ظلت –بفضل الله ثم أولئك القادة- طوال سنين تسري بخفية، واستبدل الشورى –وأي شورى!- بالإستبداد بأرائه واحتقر العلماء وأقصاهم.

فانتهك المحارم وقتل بالظنة، واتبع هواه، وصار الناس لا يأمنون على دمائهم وأموالهم وأعراضهم. فأصبحوا فوضى مهملين حتى غدا جنود الجماعة كقطاع طرق يسلبون ما شاءوا ويغنمون، ويقتلون من شاءوا ويأسرون.

وقتل من العلماء من بارزوه بالنصح والإنكار؛ كالشيخ عبد الملك الأنصاري الكدوناوي، وأبو العباس البنكِواني، واستمر الوضع على هذا النهج المشين، حتى بزغ صرح الخلافة وأقيم نواتها في أرض العراق، مما حدى بقلوب ثائرة من القادة الغيورين على دينهم، بأن يؤمّوا بيعة الخليفة لاستئصال الورم؛ التي كادت أن تودي بالجماعة وتوردها المهالك، وتسري إلى أجساد من بقي من صالحيها أو تقتلهم.

وقصة المبايعة طويلة جدا، يتعذر سردها الآن كي لا نَغوص بعيدًا عن موضوعنا الأساسي، ولكن باختصار: فإن الشيكوي أُرغم على المبايعة؛ وذلك بتكاتف من القادة العسكريين، وبعد تيقنهبأن الأمر على وشك الانفلات من يده، وأن عرشه سترتعش وتخوي به إن لم يبايع؛ بايع ليُبقي على عرشه، وسنبين ذلك في مكانه المناسب [٢].

---

(١) رأى القادة أنه وبعد ثلاثة أعوام من الجهاد ما زال المجاهدون لم يحققوا شيئاً على الأرض ولا يجد أحدهم شبراً يأوي إليه أو مكاناً يلوذ به آمناً في بيته بين أهله، فلقد كان المجاهدون يتوارون في نهارهم ويتسللون كالقطا في لياليهم لكثرة الأسر والاعتقالات في صفوفهم، لوقوف أغلب الناس مع الطواغيت في مناطق عملياتهم، فقرروا أن يعودوا إلى حرب الأدغال بدلا من حرب الشوارع التي تستنزف المجاهدين.

(٢) انظر الصفحة

وهنا سؤال يفرض نفسه بإلحاح: لماذا نرفض تسمية الجماعة خوارجًا من قبل، والآن نسميهم بذا الإسم ؟

الجواب يكون من أوجه كالتالي:

نرفض تسميتهم بالخوارج لأن الأمة ليس لها جماعة آنذاك، ولا خليفة للمسلمين فيخرجوا عليه.

ولأن الغلو لم يستفحِلْ ويصِر منهجًا مُتّبعًا يُلزم بها كل الجند كما أصبح مؤخرًا؛ لذا نقول عنهم حينها، هم في غلو وتشبه بالخوارج ولا نسميهم خوارجًا، بل وقد كان من قبل لا يَلحظ تكفيرَ العوام ولا استحلالَ دمائهم وأموالهم في بياناته إلا عالـمًا يستدرك مرامه.

ومن تفقّه وعلم الداء منهم لا يستطيع تشخيصه ولا إعطاء الدواء؛ فالشيكوي لا يتهاون في السعي لوأد أي حركة تهدد مصالحه وعرشه، وقتل كل من وقف خلفها كائنًا من كان، وبأسلوب ماكر خبيث، كما حدث مع القائد العام أبي أنيسة تقبله الله، فلا حول له ولا قوة إلا بالله ثم بمجالستهم ومداراتهم والبراءة منهم باطنًا.

أو يكون جاهلًا يحب الجهاد ونصرة الحق فأضل الطريق، ولا يجد من يُفتيه ويُرشده، فالعلماء محظورون من إفتاء ما يناقض أقوال إمامهم، وأما من اعتَنق الغلو ودافع عنه كمعتقد لديه فهوؤلاء شرذمة قليلون.

وأما الآن فنسميهم بالخوارج لأنهم أعلنوا الخروج عن الإمام العادل، مولانَا خليفة المسلمين أبي بكر البغدادي، سنة ١٤٣٧هـ، وبتأويل غير سائغ، وذلك أن الخليفة عَزَل الشيكويَّ عن الولاية وولَّى الشيخ أبا مصعب البرناوي، فرماه بالكفر لأنه لا يُكفِّر عُموم المسلمين الساكنين في ديار الكفر، وجهر الشيكوي بعقيدته الخارجية بدون مواربة.

فبذلك انقلع وَرَم الغلو والخارجيّة عن الجماعة، وصار الناس إلى فُسطاطَين، فسطاط أهل الحق والعدل؛ وفُسطاط أهل البغي والخروج، وقد انحاز الكل إلى من يُوافِقهم الرأي والعقيدة، ولم يَبق معأهل العدلمن الشيكاوية نفس إلا منافق مخادع، ولم يبق من أهل العدل في دار الشيكوي إلا مُستضعَف عاجز عن اللحاق بركب الخلافة.

هذا الجواب جرّنا إلى سؤال آخر:

هل الدولة الإسلامية على منهاج النبوة؟، وهل الشيخ البغدادي خلافته شرعية؟.

نعم، إن الدولة الإسلامية على منهاج النبوة، وبعد قيامها أحيَت لنا من الدين ما اندَرس من شرائعه وما طُمِس من أحكامه، وشَيّدت صرح الخلافة، ونَصبت القضاة والمفتين، والدعاة والمحتسبين، وفَتحت المحاكم

للمختصمين، وجَبت الزكاة من أصحابها وصَرّفَتها في مصارفها، وضَرَبَت الجزيَة على أهل الكتاب، وألزمتهم بالشروط العمرية، واستضاءت بما جاءت به شريعتُنا الغراء،وصدحت بالحق من غير مُوارِبة ولا مُداراة.

وإن الشيخ أبا بكر ابن عواد -حفظه الله- استُخلف باختيار أهل الحل والعقد عن توفر شروط الإمامة فيه.

وما يتداوله المخالفون من "أن الخليفة أبا بكر لم يستوف شروط الإمامة، إذ أنه لا يستطيع حماية البيضة، وسد الثغور، لأن العدو الآن يأخذ البلاد ويَستحِلّها، فلا حيلة للخليفة يمنعهم من انتهاك عرض العفيفات، ولا يمنعهم أحد عن قصفهم المدن جوًّا بالطائرات، ولا تقام دين الله وشرعه ما دامت هذه هي الحالات".

متشدقين بملإ أفواههم، يستترون بذلك ليطعنوا بصحة الخلافة ويبهتوا أولياء الله، ويقولون: لا بد من رضى كافة المسلمين به، ويزعمون بالإخلال بشرط من شروط الإمامة، وهو "أن يكون ذَا خبرة ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش وسد الثغور وحماية البيضة"، جاعلين حماية البيضة شرط مستقل للإمامة.

ولبيان زيف ادعائهم نقول: الواو في "تدبير" و "حماية" عاطفة على بأمر الحرب، ليس هو قائم بنفسه والمعطوف تابع للمعطوف في حكمه، وعليه فإن الشرط هو أن يكون ذا خبرة وحصافة رأي بهذه الأمور، وهذا شهد الأعداء للدولة حنكتها ودهاءها في الحرب وانبهروا بها، والحق ما شهدت به الأعداء.

فليس المقصود في هذا الشرط أن يَحمِيَ البيضة حتى لا يَتمكن العدو من احتلال بلد واحد، أو ينال أحدا من المسلمين بسُوء، فلو حدث ذلك سقطت الخلافة كما زعموا، بل لا تَنعقِد أصلًا إذا كانت الديار الإسلامية مهدّدة من قبل الكفرة، والخطر محدق بها، فبنَوا على هذا عدم صِحّة الخلافة في هذا الزمان، سبحان الله هذا بهتان عظيم.

ولو كان "حماية..." شرطًا كما زعموا، فكيف نحكم على دولة المصطفى إمام المجاهدين صلى الله عليه وسلم، وسيد الخلفاء، الذي يجبُ الاقتداء به واتباع أثره ؟!.

فلقد أقام رسول الله ﷺ دولته في يثرب، الدولة التي لا تتجاوز قطرها بضع كيلومترات، وهي مُحاطة بالأعداء الأقوياء، التي يكفي للإشارة إلى تَناسُب القوة بينهم وبين أهل المدينة، ما حصل عندما تحشّدَتِ الأحزاب عليهم يوم الخندَق، حتى إن أحدهم لا يَجرُؤ على قضاء الحاجة من شدة الخوف والوجل، ولولا أن الله أرسل عليهمريحا وجنودا لم تُر، لحدث أمر فظيعمن قتل الرجال وسبي النساء والذرية.

فهل اشترط رسول الله لإقامة الدولة في المدينة، أن يُتريّثَ حتى يهلك الله هؤلاء الأعداء أم تسارع إلى إقامتها بمجرد أن وطأ قدمه المدينة، رغم ملاحقة المشركين له وهو في طريقه إليها.

فهل من أحد يَدّعِي الإسلام يَجرُؤ ويقول إن دولة النبي لم تكن شرعيّة ما دامت الأحوال هكذا، وما دامت بقعتها صغيرة تحاصرها عشرة آلاف جندي فقط!؟.

وكيف غفلوا عن حال المسلمين حينما بايع الصحابة الصديق بالخلافة؛ لقد ارتدّ العرب في الجزيرة كلها غير مكة والمدينة والطائف وأخافوا السبل وقطعوا الطرق، حتى بلغ الحال بالصحابة أن حاولوا ثني الصديق عن رأيه في إنفاذ بعث أسامة خوفًا منهم على المدينة إذا خرج الجيش وهاجَمها المرتدون، وحتى وصل الحال إلى أن كان الصحابة يخرجون إلى ضواحي المدينة يترقبون مجيء العدو.

كما أخبر أبو هريرة واصفًا الحال، قال: "والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ وجَّه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بِذي خشب قُبِض رسول الله ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله فقالوا: يا أبا بكر رُد هؤلاء، تُوجِّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدّت العرب حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددتُّ جيشًا وجَّهه رسول الله، ولا حلَلتُ لِواءً عقَده رسول الله" [1].

ووصل الحال كذلك إلى أن المرتدين يقتلون بعض رسل الخليفة وطلائع جيشه كما حصل مع عكاشة وصاحبه الذَين قتلهما طليحة الأسدي، فهل قال الصحابة لا تصح خلافتك يا أبا بكر حتى تسترد كل الديار الإسلامية، أو تعيد الأمن والإستقرار وتحمي البيضة على الأقل ؟؟.

بل إن غالب مناطق الردة بقي فيها من ثبت على إسلامه يدارون المرتدين، ويتسلط المرتدون عليهم فيقتلون من شاءوا منهم دون أن يقدر الخليفة على نصرتهم في الحال.

كما فعل مالك بن نويرة مع مسلمي الرباب من بني تميم، وكما فعل الأسود العنسي حين تسلط على اليمن وقتل عامل رسول الله ﷺ، وسبى امرأته وألقى أبا مسلم الخولاني في النار، فهل قال أحد من الصحابة أن الخلافة لا تثبت والحالة هذه ؟ أم سارعوا إلى تنصيب الخليفة والمبايعة قبل كل شيء؟؟.

فكيف لا يسوغ لنا تنصيب إمام والصحابة لنا خير سلف وأعلى مثل، بل لو سلمنا لهم جدلًا -ولن نسلم- وقلنا بأن حماية البيضة ركن لا يتم الإمامة إلا به، فالقاعدة الأصولية، تسوغ لنا نصب الإمام واجتماع الأمة تحت كلمة واحدة، وإمام واحد، حتى وإن لم يكن لنا مقومات الدولة؛

- أن ما يعتبر باطلًا شرعًا هو "**ما لم يستجمع فيه ما يعتبر نفوذه واختل شرط أو ركن مع القدرة**"، هذه القاعدة تعطينا شرعية الخلافة وتمنعنا من تعطيلها، لما عجزنا عن ذلك الشرط المزعوم كما يزعمون؛ إذ شرط العلماء "**القدرة**" في القاعدة، وأن الشرط والركن يسقطان مع العجز.

---

(١) البداية والنهاية (٣٠٥/٦).

قال العز بن عبد السلام الحنفي رحمه الله: "إن من كلِّف بشيء من الطاعات فقدر على بعضه وعجز عن بعضه؛ فإنه يأتي بما قدر عليه، ويسقط عنه ما عجز عنه". اهـ [1]

وقال الزركشي الشافعي، وابن رجب الحنبلي، رحمهما الله: "إذا كانت العبادة مشروعة في نفسها وعجز عن بعضها؛ فإنه يأتي بالمقدور عليه، ومن ذلك: من قدر على بعض الفاتحة فإنه يأتي بما قدر عليه؛ لأن كل آية من الفاتحة تجب قراءتها بنفسها...". اهـ [2]

والمراد بها أن الواجب هو أداء الأصل مستوفيًا الشروط والأركان كاملًا، فإذا لم يمكن إيفاؤه والإتيان به مستوفيًا، فإن الحكم ينتقل إلى الرخصة، ولا تسقط بالكلية، كالصلاة في وقتها ومع الجماعة، فإن فات وقتها أتى ببدلها وهو القضاء بعد فوات الجماعة أو بعد خروج الوقت.

فلا يمكننا القول بأن الصلاة قد سقطت لخروج الوقت، أو تعطيلها تمامًا لعجزنا عن إيفاءها في وقتها، كذلك في باقي العبادات فلا وجوب في استجماع الأركان والشروط مع عدم القدرة والاستطاعة.

فكذلك نبذ الفرقة، وجمع الكلمة على إمام واحد، وحماية البيضة؛ كلها تجب تطبيقها بنفسها، ويجب علينا الإتيان بالمقدور منها مع ترك ما عجزنا عنه، فقد جاء القرآن يوجب علينا الجماعة وعدم التفرق وتعدد الجماعات، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [3]، وقال ﷻ: ﴿ تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [4].

أمرنا الله في هاتَين الآيتَين الكريمتَين، بالإعتصام جميعًا بحبله والتكاتُف والإجتماع في ذلك، ونهانَا عن سلوك مسلك المتفرقين، الذين استمرأوا التفرق والإختلاف بغيًا وعدوانًا ببعضهم، وكل هذه الأوامر قائمة بنفسها، وإن الله إذا أمر بأمر؛ فإنه قد أمر بما لا يتم إلا به، فالأمر بالجماعة في هذه الآية أمَر به على سبيل الغاية، وأمَر بما لا يتم إلا به وهو تنصيب إمام على سبيل الوسيلة.

وأما قولهم من أنه لا بد من رضى كافة المسلمين به.

فسبحان الله !، متى كان يشترط رضى الناس كلهم في تنصيب الخليفة واختيار إمام؟

يا لعجبي !... نحن إنما علمنا في أمر البيعة الاختيارية أنه ينعقد بأحد الوجهين لا غير:-

أحدهما: بعهد الإمام الأول.

---

(١) قواعد الأحكام، (٢/٥).

(٢) المنثور (١/٢٢٧-٢٢٨) ، والقواعد لابن رجب (١١).

(٣) سورة آل عمران [١٠٣]

(٤) سورة آل عمران [١٠٥]

الثانية: باختيار أهل الحل والعقد.

قال بدر الدين: "الطريق الأول في الاختيارية: بيعة أهل العقد والحل من الأمراء والعلماء، والرؤساء ووجوه الناس الذي يتيسر حضورهم ببلد الإمام عند البيعة، كبيعة أبي بكر رضي الله عنه يوم السقيفة، ولا يشترط في أهل البيعة عدد مخصوص، بل من تيسر حضوره عند عقدها، ولا تتوقف في صحتها على مبايعة أهل الأمصار، بل متى بلغهم لزمهم الموافقة إذا كان المعقود له أهلًا لها". اهـ [١]

وأقل ما تنعقد به منهم الإمامة خمسة، كما ذكرهاالإمام الماوردي في الأحكام السلطانية، وقال: "ويعقدها أحدهم فيجوز برضى الأربعة استدلالًا ببيعة أبي بكر".اهـ[٢].

فإذا كان خمسة من أهل الحل والعقد ينصبون الخليفة ويختارونه؛ فما الضير في أن يختاره ويرضاه أخيار المسلمين، وأفاضلهم في هذا الزمان، من مهاجرين وأنصار من آلاف المجاهدين في بلدان مختلفة من قارات العالم؟.

فما قاله السلف هو ينصب برضى الأربعة من أهل الحل والعقد إذا اختاروا خامسهم، أم يا تُرى! سيشرحون–المخالفون- الأربعة بالجهات الأربع، والخامس فماذا سيكون، الأرض أم السماء؟!.

فما تعلّمناه من العلماء الربانيين أنهم لا يشترطون رضى المسلمين عامة، وإلا لما قالوا بخلافة من تغلب عليهم بسيفه، وكيف يفسر لنا معنى إضافة العلماء ذلك في أصول عقيدة أهل السنة؛ فإنك لا تكاد تجد كتاب عن أصولهم إلا وقالوا بإمامة من تغلب عليهم بسيفه، أفي الغلبة رضى؟!، أم كيف يفسرون الرضى؟!، أهي الاستسلام يا ترى؟!!.

فمن قال بهذا فإنه يلزمه القول بعدم صحة إمامة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، أو القول بكفر من لم يبايعهم واستثنائهم من المسلمين.

ولزمه أن يكفّر كل أصحاب معاوية وهو معهم يوم التحكيم، حين كتب علي رضي الله عنه اسمه في كتاب الصلح؛ إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية حكّما فلانًا، فنازعه معاوية رضي الله عنه قائلًا: لو كان أمير المؤمنين لم أقاتله ولكن ليكتب اسمه وليبدأ به قبل اسمى لفضله وسابقته، وقال عمرو رضي الله عنه: اكتب اسمه واسم أبيه، إنما هو أميركم، وأما أميرنا فلَا [٣].

فهؤلاء لم يرضوا بإمامة علي رضي الله عنه، فهل نُكفّر هؤلاء أم نُبطل خلافة أمير المؤمنين؟!، كلا والله إنها الكبر تحدوهم للزيغ عن الحق، اسمع: قال جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر وزيد بن أنس وغيرهما قالوا: سار علي في مائة وخمسين ألفًا من أهل العراق وأقبل معاوية في نحو منهم من أهل الشام.

---

(١) تحرير الاحكام في تدبير أهل الإسلام.

(٢) مختصر الأحكام السلطانية للماوردي ط مكتبة الهمة (٦).

(٣) انظر "البداية والنهاية لابن كثير" قصة التحكيم (٢٧٦/٧).

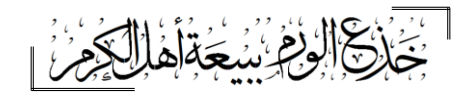
وقال غيرهم: أقبل عليٌّ في مائة ألف أو يزيدون، وأقبل معاوية في مائة ألف وثلاثين ألفًا).

فكيف تفرض لنا شروطك – أيها المخالف- حتى تكون ملائمة على هذا الوضع ؟!.

اسمع بهذه الأعداد الرهيبة بمن فيهم من الصحابة رضوان الله عليهم الذين لم يرضوا بخلافة علي رضي الله عنه، فكيف تلزمنا بشروطك مع أننا لا نراها في السلف!.

فلا يضرنا بعد ذلك أن يزعق المخالف على أنه لا بد أن يبايعه كافة المسلمين أو يرضوا به، فالقافلة سائرة والكلاب لا زالت نابحة.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين.



مصادرنا فيما نكتبه عن الشيكوي

اعتمدنا فيما ننقله بما شاهدته أعيننا من حوادث، فنحن عايشناه أكثر من ثلاثسنوات، ورمقنا سلوكه وحضرنا محاضراته ورسائله عن كثب، وحاورناه أكثر من مرة، بل أكثر من ذلك فقد كنا نطبع له رسائله، وسجلنا له فيديوهات، بل وكنا من مقربيه وبعض قادته، فلا أحد يُعلِمنا بضب نحن حرشناه.

ونقتصر في عرض أقواله بما انتشر تسجيلها أو دعت الضرورة إلى تبيانها، ولا نكتبها حتى نُشهد عليها أربعة شهود، ولا دخل لنا في عرض أقواله إلا بما تقتضيه الترجمة كما بيّنا ذلك مسبقا.





الباب التاني

عقيدة الخوارج الشيكاوية

من هم الخوارج؟

إن الأمة على مرّ العصور وكرّ الدهور؛ لا زالت تفترق، كما أخبرنا المختار ﷺ بأن أمته ستفترق إلى عدة فِرق؛ كلها في النار إلا واحدة، والكل منهم يدعي أنه هو المعْنيّ بالواحدة، والحق أنهم أهل السنة والأثر، وأهل الفقه والنظر، وقد تقيم بعض الفرق على دعواها برهانًا أوهن من بيت العنكبوت، ومن هؤلاء الفرق الضالة؛ الخوارج بكل نحلها.

وفي هذا العصر كثر الغلاة من أهل الأهواء، ولكل منهم سلف يُقلده قصدًا أو يوافقه قدرًا، ولكن بدعتهم تختلف في أغلب الأحيان عن أسلافهم، وتتلوَّن تلوُّن الحرباء.

وهنا تَوجَّب علينا تعريف الخوارج، وهل يجوز لنا تسمية الشيكويين بالخوارج؟، وإذا كان الجواب نعم؛ فمِمَّ وافقوا الخوارج حتى سميناهم بذا الاسم؟، هذا ما سنتناوله فيما يلي من هذا الكتاب.

صفات الخوارج:

النصوص التي وردت بصفات الخوارج كثيرة، وإني على شرطي في الكتاب ألا أثقله فيَملّ القارئ أو تفتر عزيمته عن بلوغ نهايتها، فسأقتصر على حديث واحد جامع لأكثر صفاتهم :-

عن أبي سعيد الخدري، قال: بعث علي رضي الله عنه-وهو باليمن- بذهبة في تُربتِها إلى رسول الله ﷺ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس الحنظلي، وعيينة بن بدر الفزاري، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي، ثم أحد بني نبهان، قال: فغضِبتْ قريش، فقالوا: أتعطي صناديد نجد وتدَعنا؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إني إنما فعلت ذلك لأتَألَّفهم»**فجاء رجل كثُّ اللحية، مشرف الوجنتين[1]، غائر العينَين، ناتئ الجبِين[2]، محلوق الرأس، فقال: اتق اللهيا محمد، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«فمن يطع الله إن عصيته، أيأمنُني على أهل الأرض ولا تأمنُوني؟»** قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله - يرَون أنه خالد بن الوليد - فقال رسول الله ﷺ: **«إن من ضِئْضئ هذا[3]؛ قومًا يقرءون القرآن لا يُجاوِز حناجِرَهم[4]**،

---

(١) كث اللحية: أي كبيرها وقصير شعرها.

مشرف الوجنتين: بارزهما.

(٢) غائر العينين: يعني أن عينيه داخلتان في محاجرهما، لاصقتين بقعر الحدقة.ناتئ الجبين: مرتفعها.

(٣) الضئضئ: النسل والعقب.

(٤) لا يجاوز حناجرهم: فيه تأويلان ، أى لم تفقهه قلوبهم، ولا انتفعوا بما تلوا منه، ولا لهم فيه حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق، إذ بهما تقطيع الحروف، والتأويل الآخر: أنه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا تتقبل.

يقتلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان، يمرُقون من الإسلام كما يَمرُق السهم من الرميّة، لئن أدركتُهم لأقتلنّهم قَتلَ عاد» رواه مسلم[1].

وأما عن السلف في تعريفهم؛ فقد قال الإمام ابن حجر رحمه الله:"أَما الخوارج فهم جمع خارجة وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدِّينِ **وخروجهم على خيار المُسلمين**، وكان يقال لهم القراءُ لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة إلا أنهم كانوا يتأولون القرآن على غيرِ المُرادِ منه ويستبدون برأيهم ويتنطعون في الزهد والخشُوعِ وغير ذَلِك". اهـ[2].

وقال مصطفى البغا في تعليقه على صحيح البخاري: "(الخوارج) جمع خارجة أي: طائفة خرجوا عن الدين القويم وهم مبتدعون وسموا بذلك لأنهم خرجوا على خيار المسلمين، **وكل من خرج عن جماعة المسلمين التي تعمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما أجمعت عليه الأمة؛ فهو خارجي**[3].

أي: الحاصل أنهم طائفة ابتَدعوا عقيدة غير عقيدة السلف، وخرجوا على خيار المسلمين وأئمتهم بحُجَجٍ واهِيَة، كخروجهم على خليفة المسلمين علي بن أبي طالب لأنه حكّم أبا موسى الأشعري بينه وبين معاوية رضي الله عن الجميع، فأوَّلها القوم على أنها حكم بغير ما أنزل الله -حسب زعمهم- فخرجوا عليه وكفَّروه وكفَّروا صحابة النبي ﷺ، وكان من صفتهم أنهم يقرؤون القرآن حتى يحقر الصحابة صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، إلا أنها لا تتجاوز تراقيهم كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

ويُأوِّلون القرآن حسب رأيهم ومرادهم، وكل تطرفهم وغلوهم ناتج عن هذا فلو فسّروا القرآن حسب تفسير السلف الصالح لوُفِّقوا لمراد الله، لكنهم يتَّبِعون ما تشابه ابتغاء الفتنة.

هذه صفات القوم مختصرة معتصرة، والآن نحاول أن نرى تلك الصفات مع الشيكويين،ولكي يتّضِح لنا ذلك نلجأ إلى تطبيق التعريف عليهم بأفعالهم كالآتي:-

- **قال رسول الله ﷺ:** (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان). سبحان الله ! منذ ١٤٣٥وجه الشيكوي فوهة سلاحه إلى المسلمين يقتلهم ويسبي ذراريهم، منذ تلك السنَة والشيكوي يتربص بأماكن التجمع التي هي مظنة وجود موحدين، كالمحطات والمساجد السنّية وغيرها ومُصلى الأعياد،ثم يبعث انتحاريًا ليفجر نفسه وسط الجموع.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم، (٢٤٩٩-٣/١١٠).

(٢) فتح الباري (٢٩٦/١٢).

(٣) صحيح البخاري –كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج-، تعليق د. مصطفى ديب البغا

منذ تلك الفترة ولم يصل المسلمون أعيادهم بسلام، بدون تفجير أو تعقب من الشيكوي بينما يتوعّد الصليبيين بوعود زائفة، "كالمهدّر في العُنة"[١]، فلم يُسمع تفجير أو دهس بل ولا بصق بزاخ على صليبي، يُقيمون أعيادهم في كنائسهم بأمن وطُمانينة، وربما لجأ إلى قتل المسلمين تاركًا الصليبيين، لأن لهم منعة شديدة، ويتمتعون بحراسة قوية ويحميهم أجهزةٌ أمنية بينما لا يوجد صعوبة لنيل المسلمين، ولا أحد يقف في وجهه حالما يَتقصَّدهم بعملياته الانتحارية.

- **قال ابن حجر:** "وهم قومٌ مُبتدِعون سُمُّوا بذلك لخروجِهم عن الدّينِ وخُروجهم على خيار المسلمين".

ألم يبتدعوا مُحدِثةً مُنكِرةً من تأصيل الكفر على ساكِني دِيارِ الكُفر !، وعقيدة تُكفِّر جميع الناس سوى من كان معهم!، ألم يَخرجوا على خليفةِ المسلمين إبراهيمَ بنِ عوّادٍ حفظه الله؛ لِأَنّهُ ولّى أمرهم أحقر الناس في أعينهم وأبغضهم إليهم.

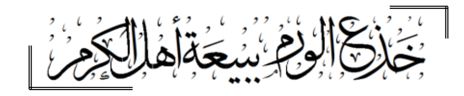
- **وقال أيضًا:** "أنهم كانوا يتأوَّلون القرآن على غير المراد منه"، ألم يكن حاخامهم الشيكوي يُؤوّل القرآن حسب ما تشتهي نفسه وهواه، مثال ذلك لقد فسر آيتي البراءة ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ الآيتان، أوَّلَها على أنه لا يؤمن بالله من يستأذن في الخروج، والحقيقة لا يستأذنك في القعود كما قال ابن كثير وغيره، لكن الرجل أراد أن يستدل لقوله ليس على الإمام نفقة المجاهدين وتشييد الثغور، وعليهم أن يؤمِّنوا الأسباب اللازمة للغزوات، فذهب يتعسف ويلوي عنق النصوص لتطاوعه.

يحرفون الكلم عن مواضعه لعرض من الحياة الدنيا الدنيّة، أو لهوى نفس شقِيّة، والله الهادي إلى الطريقة السوية، وكان ابن عمر رضي الله عنه يراهم شرار خلق الله وقال: "إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين" [٢].

فيا لها من تطابُق الأفعال وتشابه القلوب بينهم انظروا -يرحمكم الله- واحكموا بأنفسكم، أليس هذا الوصف ينطبِق تمامًا على الخوارج -الشيكاوية- ؟!،

(١) يضرب مثلًا للرجل يتهدد ولا يضر، وأصله هو البعير يحبس عن ألافه في الحظيرة؛ فيأسف ويهدر ولا ينفعه ذلك شيئًا، والعنة حظيرة تعمل من الشجر يحبس فيها البعير

(٢) صحيح البخاري –كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج وقتالهم- .



وتتفق الشيكاوية مع الفِرَق الضالة في البدع كالتالي:

الخوارج:

- وافقوا الخوارج بجميع نحلها في تكفير صاحب الكبيرة، ولكنهم لم يعلنوا هذا صراحة من عقيدتهم ولم يكفروا بكل كبيرة كما هو عند سلفهم المتقدمين، غير أنهم يستدلون بمنكرات بعض الطوائف من الناس والمعاصي على كفرهم كما سنذكر ذلك في مكانه إن شاء الله.
- وافقوهم على تكفير مخالفيهم من عامة الناس وخاصتهم، كما كان يصرح بذلك زعيمهم في تكفير جميع المذاهب والجماعات من فرق الأمة بلا استثناء، وما تكفيرهم جنود الدولة الإسلامية في ولاية غرب إفريقية، وإطباقهم على ديارهم بالكفر عنا ببعيد.
- ووافقوا الأزارقة في تكفير من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم وإن كان ينوي الإنتقال إليهم.
- ويرون جواز تعدد الأئمة، قياسًا على دولة المماليك، وبني العباس والأمويين في الأندلس.
- ووافقوا الأزارقة أيضًا؛ على عاداتهم فيمن هاجر إليهم أن يمتحنوه بأن يُسلِموا اليه أسيرًا من أسراء مخالفيهم ويأمروه بقتله، أو يزوجوه نساء مخالفيهم، وهذا حدث لإخوة كثيرين والله المستعان.
- ووافقوا المعلومية من العجاردة الذين زعموا أن من لم يعلم الله بجميع أسمائه فهو جاهل به والجاهل به كافر؛ حين قالوا بكفر من لم يحفظ شروط لا إله إلا الله السبعة، ونواقض الإسلام العشرة، ويحصوها عن ظهر الغيب فهو خارج من الملة.
- ووافقوا خوارج العصر في القول بأن الأصل في الناس الكفر.

والمعتزلة:

- وأما المعتزلة فوافقوهم في التكفير المسلسل الذي لا نهاية له.
- ووافقوهم في تشبيه أفعال الله بأفعال الخلق؛ إذ رأى المعتزلة أن ما يستحسن من الخلق يستحسن للخالق، وما لا فلا، وهؤلاء عكسوا ذلك.

وسوف نحاول سرد كل هذه الأباطيل، ونثبتها للشيكوي وأتباع مذهبه بدليل، ونبطلها بحجة دامغة، والله الموفق والمرشد إلى سواء السبيل.



الفصل الأول جهله واستهانته بالعلم

هذا وإنهم لا يدرون كيف اقتدوا بفرق الضالة حذو القذة بالقذة، ولا كيف واطؤوهم في كثير من البدعة، إلا بالجهل الفاحش بأصول الدين، والنأي عن طلب العلم المتين.

وأظن –إن لم يصل لحد العلم- أن زعيمهم حينما يطالع مسألة في برامج الحاسوب، يبحث عما يؤيِّد رأيه من كتب الأئمة، وينظر إليها غير مكترث بما سيق من أجله؛ حتى وإن كان عرضًا لكلام مبتدعين ليُرد عليهم، فيختلسها ويعتنقها، وربما استدل بها مُسنِدًا الكلام –البدعِي- إلى صاحب الكتاب –الذي عرض البدعة ليرد عليها-.

ولهذا أردنا أن نبين هذه التحليلات ونضعها على أرض الواقع في هذا الفصل إن شاء الله، وقصدنا هو أن نُعرّيَ هذا الشخص ونبين عقليته التي يعصر بها الأحكام لأتباعه "المجاهدين" !!، (المجاهلين) وذلك في مباحث كالتالي.



المبحث الأول

عزوفه عن العلم

عزوف الشيكوي عن العلم وإعطاءِ العلماء مكانتهم، والاستهانةُ بهم وازدراؤهم مما لا يخفى على العوام قبل الخواص.

فهو يظن أنه قد علَا من العلم صرحًا شاهقًا لا يَحتاج معه مزيدًا من القراءة والتعلم، فقَنع بما لديه من بضاعة مزجاة، يوم أن كان مع الإمام أبي يوسف تقبله الله، ناسيًا أنه حينها بمعاونة وتعضيد من المشايخ اتكأ على حائطهم، ولا يدري أنه وقع في وحلة بابتعاده عنهم.

وهو مقتنع كل اقتناع بمتابعة ما تنتجه الحاسوب من برامج تحتوي على مئات الكتب لفنون مختلفة، وبلمسة واحدة وكتابة بداية مسألة؛ ينبعث له جميع كلام العلماء حول المسألة بحذافيرها.

بيد أنه لا يدري أنه استسمن ذا ورم، ونفخ في غير ضرم، أراد بالضغط على الأزرار أن يسبق الركب، ويستدرك على العلماء، وأنى له التناوش من مكان بعيد، فمتى سُلِب منه الجهاز سُلِب منه كل شيء.

وأعجب من ذلك: أنه ينسب كل ما ينسخها من ذلك البحث إلى نفسه، يختمها باسمه ولقبه فجنى على نفسه إذ أنه يحسب أنه على شيء ومرتق على الناس، فتصحّف الكتب، فضل وأَضل كثيرًا وضل عن سواء السبيل.

ومن بعض زلّاته في تصحيفه، ما حدث في إصدار له، أثناء قراءته لحديث السبع الموبقات، وبعد وصوله للموبق السابع احتاج قلب صفحة لأنه في الصفحة التالية، ولا يدري على أي حركة هي، فقال وهو يقلب الصفحة: "وقذفِ[بالجر]، أو قذفُ[بالرفع]، و قذفَ[بالنصب]".

رغم أن كلام الشارع لا يُؤوَّل، إلا أنه يمكن القول بأنه غلط أو وهم، فلو وقف على الرفع والنصب، إن رفعها لقلنا أصاب، وإن نصبها لأوّلنا له وقلنا إنه وهم فنصبها بدلًا من "السبعَ" المنصوب، لكنه جرها أيضًا! ولا أدري أن اسمًا يعرب بالحركات الثلاث في موضع واحد إلا من الشيكوي !!!.

نعم ربما تقول: الأمر لا يعدو أن يكون كبوة من فارس، يوشك أن يقوم منها !!!، لكنه خيّب رجاءك حين أضاف إلى ما سبق وبلا خجل ترقيعًا لثيابه المزِق، وتعزيزًا لبنيانه الهَدِم قوله: "كل هذا الطريق يمكن إن كنت عالِمًا بقواعد العربية"[١] !!!.

---

(١) انظر إصدار معركة مطار ميدغوري محرم/١٤٣٥، في الدقيقة (٠٤:٢٥|٠٥:٠٥) من المقدمة.

أي: كل الطرُق الثلاثة –الجر والرفع والنصب- يمكن إن كنت عالمًا بقواعد اللغة، لكن إن اعترضت فأنت لا تعرف قواعد اللغة !!.

مسكين !، نسي أنه في سرد حديث نبوي، حسب أن الأمر من مسائل لغوية فحاول الاستدراك على زلته. فقال مصعرًا خدَّه: "كل ذلك يمكن إن كنت عالما بقواعد اللغة".

سبحان الله! يا للعجب !!!،تركت لمعجبيه الجواب الآن.

ومنها كذلك لما كان يدرّس بلوغ المرام وبلغ حديث التيمن، قال في "الترجّل" إنها مشتقة من الرِّجل، ومد رجله مشيرًا إلى الطلبة، ولما نبّه الطلاب على أن الشارح قال ترجيل الشعر؛ قال: سوف أنظر في ذلك، سبحانك ربي! هكذا غرته نفسه فظن أنه بلغ من العلم منتهاه فاستغنى عن المطالعة والبحوث.

ومنها أيضًا بينما يدرس "تفسير ابن كثير" !، عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ فلما وصل لحديث الطفيل بن سخبرة: .... ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: **"هل أخبرت بها أحدًا ؟"**، فقلت نعم، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "**أما بعد، فإن طفيلًا رأى رؤيَا...**)".

هنا اخطأ فحرف اللفظ فتحرفت المعنى، حيث قرأ "(**وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا...**)صحفها قارئًا (**كلمة كان بِمَعْنَى كذا وكذا**) ففسرها: "الرسول ترفّع أن يُكرر ما قالوا لشناعتها، فقال: بمعنى كذا وكذا، (**أن أنهاكم**): فانتهُوا منها الآن" !!. ثم نّبهه الطلبة على أن الكلمة (**يمنعني**) فأعاد تفسيرها قائلًا: (**وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا**) معناها أي: "قلتم كذا وكذا، مما منعني الله أن أقولها أنا؛ فأنا أيضًا (**أن أنهاكم عنها**) نهيتكم عنها الآن !!!". اهـ[1].

هكذا كان يصحف في الكتب ويستنبط هذا "الإمام" لجماعته المسائل والأحكام!، ويحكم على الأفراد والفِرَق بالكفر والخروج من الملّة، حتى ولو لم يدر ما مبادئ أولئك الفرق، بل لا يُحسن ذكر اسمها، كما كفّر الطريقة الصوفية النقشبندية، وهو يسميها كشبندية !.

و من تأمل تسجيلاته ورسائله؛ رأى فيه من هذا الجنس ما يزيد على الإحصاء من هذا الفن القبيح، ولو أنه أصغى إلى العلماء و ترك تعظيم نفسه واستفتاهم؛ لبان له الصواب.

فإن كان يستخف بطلبة العلم من الإخوة؛ فهلا أصغى إلى علماء الجهاد الذين ملؤوا الأقطار علمًا، يختار منهم من شاء ويستفتي!، غير أن اقتصار الرجل على علمه إذ مازجه نوع رؤية للنفس؛ حبسه عن إدراك الصواب نعوذ بالله من ذلك، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

---

(١) درسه لتفسير ابن كثير، الدرس الحادي عشر، من الدقيقة (٠٠:٥٦:١٠|٠٠:٥٧:٤٢) تمامًا.

لذلك كان يرى علماء الدولة؛ أقرانه وإخوانه، يتعلمون منه كما جاز له أن يتعلم منهم، بل كان يقول: "إن الدولة لا ترى جواز سبي النساء، حتى سبَيت بنات "شيبوك" وجمعت رسالة في هذا، فلمّا نظروا الرسالة علموا أنها الحق فسبوا نساء الأيزيديين".

وهذا ما جعله يردُّ من أوامرهم وتوجيهاتهم ما شاء، بل والله العظيم ما انصاع لأمر من أوامرهم سوى عدم الظهور في الإصدارات!، وهي أيضًا متضجر منها، كونه يحب سماع اسمه في الفضائيات والإذاعات ويطير فرحا – كالجولاني- عند ذكر اسمه او جماعته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هب أنه صاحب علم وصار بحرًا في العلم أليس من الأفضل له أن يستزيد، أَوَسِعه ما لم يسع الأنبياء؟، فقد حض رب الجلالة رسوله الأمين فقال ﷻ ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1].

وقال ابن كثير:[2] "أي زدني منك علمًا، قال ابن عيينة رحمه الله: ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله ﷻ". اهـ

قال ابن القيم -رحمه الله-[3]: "وكفى بهذا شرفًا للعلم، أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه".

وفي خبر كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام الذي قصه القرآن الكريم، حين تاقت نفسه إلى المزيد من العلم، خاض كآبة السفر وعناءها، قال الله محكيًا عن كليمه: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾[4].
وعن قتادة قال: "لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه السلام، ولكنه قال: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾[5].

قال ابن الجوزي رحمه الله: "أفضل الأشياء التزيُّد من العلم، فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافيًا استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعًا من الاستفادة... وربما كان معظماً في النفوس فلم يتجاسر على الرد عليه أحد" اهـ[6].

وهذا ما وصل إليه حال الشيكوي، الاستبداد بالرأي، وعدم الرضا بتخطئته، وتعظيم نفسه بحيث يرى كل ما يقوله هو الصواب، وأن الحق يُعرف به، ولو أنه ترك تعظيمه لنفسه لرد صِبيان الكُتّاب رأيه عليه، ولَبان له صدقهم.

---

(١) سورة طه [١١٤].
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٩٤).
(٣) مفتاح دار السعادة (١ / ٢٢٣).
(٤) سورة الكهف [٦٢].
(٥) جامع بيان العلم (١٦٢).
(٦) صيد الخاطر (٨١).

بل وصل به الحال إلى درجة يكره أن تتنوّر الرعية بالعلم، وكان يقول: "لعلج الجاهل المطيع عندي؛ أحب إلي من طالب العلم وحافظ القرآن الجريء".

وهذا ما يهواه المستبدون أمثاله، فلا يخفى عليهم مهما كانوا أغبياء؛ أنهم لا يستطيعون الاستبداد والاعتساف إلا ما دامت الرعية حمقاء تتهاوى في ظلمة الجهل وتيه عمياء.

* * *

المبحث الثاني

تصدره للفتيا

إن الإسلام فتح باب الإجتهاد على مصراعَيه، لكُل من توفَّر فيه شروط المجتهد، ومن أهمها:

- معرفة اللغة والنحو والصرف.
- معرفة أصول الفقه.
- والناسخ والمنسوخ في الكتاب والسنة.
- معرفة حالة الرواة للحديث، وتمييز الصحيح من ضعيفها.

غير أن الشيكوي فاقِدٌ لكل هذه الصفات، ولما لُقِب إمامًا حسب أنّه اسْتحقّ اللّقب فأعرض عن الطلب، ويستنكف أن يكتب اسمه أو يذكرها بعد أي مناسبة إلا وأتبعه بهذا اللقب، فأصبح حينئذ اللقب خديعة يخدع بها نفسه.

وليته اكتفى بذلك؛ لكنه اتكأ على الأريكة وعرض الوسادة، فتصدر للفتيا، وفي رسالة له ينكر على مخالفيه في جماعة "أنصار المسلمين في بلاد السودان"، قال إنه قد استوفى شروط المفتي، وبلغ درجة الإجتهاد فهو يستطيع الآن أن يكتب "قلت" في أي مسألة شرعية.

ولو كتب ذلك عن توفر شروطها فيه، وأخذ اللقب عن أهلية واستحقاق لهان الأمر، ولكن العكس هو الواقع، فكيف ينهض البازي بغير جناح!.

ومع قلة علمه فقد كان شديد الحرص على أن ينادى بهذا اللقب في كل محفل، لقد قال ذات يوم رادا لخصومه: ”أنا إمام ولو للصلاة“ !!.

بل يستشيط غيظًا إذا أنكر أحد ذلك ويعد ذلك جريمة تستحق القتل، كما قتل القائد أبو حنيفة مجاهد الأنصاري.

فأفتى دون تأهل لها، كالعاط بغير أنواط[١]، فتقوَّل على الله بغير علم، فضل وأضل كثيرًا عن سواء السبيل، وهذا وربي لإزاحة جبل من مكانه أهون منه، فإنه من أخطر الأمور في دين الله، بل مما لا ضرورة فيه في دين الله عز وجل.

---

(١) العاطي: المتناول، الأنواط: كل شيء معلق، واحدها نوط، يقول المثل: هذا يتناول بغير معاليق.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾[١].

قال رسول الله ﷺ: **"(إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا يَنتزِعه من العباد، ولكن يَقبِض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا)"**[٢].

ومن ذلك:- أنه سُئل يومًا -ونحن حاضرين- عن حكم المطلّقة قبل أن يمسّها الزوج، هل تعتدُّ أم لا ؟، فقال: "أوجب الله عليها أن تعتد لوجود آية صريحة تدل على ذلك، ولكن تريَّثوا حتى أعيد النظر في المسألة ففيها اختلاف للعلماء" !!!.

لا ندري أية آية يقصد، فإن كانت التي في سورة الأحزاب؛ فهي دالة على عكس فتواه، وإن قيل بأنه غلط وأخطأ، فعلام يفتري على العلماء؟، مَن مِن سلفنا الصالح يَجرُؤ على أن يتعدّى آيةً صريحة تدُلُّ على حكم ثم يقول بعكسها ؟.

ومنها :- سُئل عن رجل تزوج أربع امرأة، فطلق واحدة منهن طلاقًا غير بائن، وأراد التزوج برابعة أخرى، أعليه أن ينتظر عدة المطلّقة؟، فتبسّم ضاحكًا وقال: "أهو المطلَّق حتى يعتد !، لا، ليس عليه شيء، بل يتزوج ولو بعد طلاقها بساعة !!!".

ومنها:- أنه سُئل عن المرأة يطلقها زوجها من غير بينونة، ثم يتوفى قبل أن تبلغ العدة أجلها؛ فهل تكمل عدة الطلاق أم تعتد عدة وفاة؟، فقال: "لا بل تكمل عدتها الأولى، ولا أعلم خلافًا للعلماء في هذا !!!".

وكل هذه الترّهات مما حضرناها، ولو استزدتني لأزيدنك طوام من هذا القبيل، ولو ذهبت أحصيها وأتقصيها؛ لسودنا صحائف طوال، ولكن نكتفي بهذا بما أننا أردنا أن يعرف القوم أن إمامهم هذا تصدر لما ليس هو أهل لها.

---

(١) سورة الأعراف [٣٣].

(٢) صحيح البخاري برقم (١٠٠) في كتاب العلم/باب كيف يقبض العلم، وفي باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس رقم (٦٨٧٧)، ومسلم برقم (٢٦٧٣) في العلم باب رفع العلم وقبضه

ومن تصوراتهم التي استنبطوها

- يرى الشيكوي جواز تعدد الأئمة، قياسًا على دولة المماليك، وخلافة العباسيين في الشام وخلافة الأمويين في الأندلس، ولم ينكر العلماء عليهم ذلك رغم وجود علماء جهابذة في ذلك العصر، وجمع رسالة حول الموضوع سماها "شبهة عن دار الإسلام" وعلى هذا الأساس يحرص على تسمية نفسه بـ"الإمام".

- أنه لا شورى في الإسلام إلا إذا طلبها الإمام، لقول الله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ وليس وشاوروه، وإنما في حق الرعية أن ينصحوه فقط، لقوله: (ولأئمة المسلمين) والنصيحة للأئمة لا تصلح إلا بقال الله قال الرسول، ولا مجال للرأي فيها.

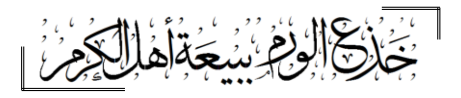
- أنه لا صبر بين المسلين على أذى بعضهم، وإنما هي صلح فإن لم يرض؛ فعقل ودية، لقوله: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ وإنما الصبر على أذى الكفار، لقوله تعالى﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ابن عبد الوهاب: "الصبر على الأذى فيه".

- الخائف من غير الله لا يكون مسلما مطلقًا، لقول الله تعالى ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ فإن جعل من صحة شرط الإيمان عدم الخوف من غيره، وعلى هذا فقس.

- من عمل شيئًا وابتغى الدنيا بها أو فيها فهو مشرك كافر، لقوله تعالى ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾. فالمجاهد لو خرج للغزو وهو يريد الغنيمة؛ كافر!.

- من غلّ شيئًا من أعراض بيت مال المسلمين؛ فالإسلام أمر بقتله، ولو كان قدر طلقة واحدة، وهذا لم أقف على دليلهم. !!

* * *



المبحث الثالث

التقليد عنده

مذموم جملة وتفصيلًا، حتى تقليد الصحابة رضوان الله عليهم، وكان يقول: " لا تقل لي قال أبو بكر أو عمر، بل قل لي قال أبو بكر عن رسول الله"، يستدل بقول ابن تيمية: "إن كنت مدعيًا فالدليل، وإن كنت ناقلًا فالصحة"، وكذلك بقول ابن عباس: "أقول لكم قال الله قال الرسول وتقولون قال أبو بكر وقال عمر، يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء".

هذا انتقاص بمنزلة الصحابة، وحجته هذه فصام نكد عليه، فما أَوْرد له ابن عباس مقولته هذه شيء؛ والذي عنَوه هؤلاء شيء آخر.

ابن عباس قال هذا لأنه أفتى بحديث نبوي فعارضوه بأقوال الصحابيَّين، فغضب لردهم حديث رسول الله ﷺ قولهما، وهذا معلوم لدى أهل السنة، أنه لا يصح الأخذ بقول الصحابي إذا عارض قولًا أو فعلًا ثبت عن رسول الله. قال الإمام الشافعي: "أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد".

هذا هو ما عناه ابن عباس أما هؤلاء فقد نفوا الاجتهاد عن أبي بكر وعمر سواءً عارض النص أو لم يعارضه، وحرّموا نقل آثارهم الموقوفة عليهم سواءً أصابوا أو أخطأوا، هذا ما يفهم من مغزى كلامهم، وهذا ما يعنيه الشيكوي بالضبط.

فليس عنده حقًّا ما نقلته عن علماء السلف ولو على وجه التعضيد والاستئناس، فيشمئز من سماع النقل عنهم؛ إذ يعتبر ذلك اتباعًا لغير ما أنزل الله وعبادة للعلماء، فكتابنا هذا، الذي شحناه بالنقل عن العلماء؛ لن يزيده من الحق إلا نفورًا.

فسبحان الله! ظن القوم أنهم قد استغنوا عن العلماء بحفظهم بضع عشرات الحديث، ومعرفتهم بالآجرومية، وظنوا أنهم قادرون على الاجتهاد بذلك، دون أن تكون لهم صلة بأمهات كتب الأصول والفقه والتفسير، ودون الرجوع والاعتماد بأقوال السلف من الصحابة والتابعين، فوقعوا في أوحال الجهالة، ووقعوا في متناقضات لا تحصى، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به.



الفصل الثاني أن الأصل في الناس الكفر.

ومن آثار جهلهم للدين وأصوله اعتنقوا هذا القول القبيح، والعقيدة الفاحشة: القول بأن **(الأصل في الناس الكفر)** على ما يرونه من عدم اعتراض الناس على حكامهم الذين يلزمون الناس بالتحاكم إلى القوانين الوضعية، ويرون أن ذلك كافٍ في رضاهم عما فعل حكّامهم من التشريع من دون الله، و أن ما حصل منهم هو موالاة لحكامهم، وهي كفر، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ المائدة: ٨١.

واتخاذ الحكام أولياء تكفي فيه مجرد المتابعة الظاهرة ؛ ومفهوم المتابعة عندهم ليست مجرد المشايعة بالعمل، بل هي أيضاً ترك الاعتراض الذي يعني عندهم الدلالة على القبول والرضى. فإذا لم يعترض الناس وينكروا تحكيم القوانين الوضعية فهذه دلالة كافية عندهم على رضاهم، وأنهم لأجل ذلك كفار. و أن هذا هو الأصل فيهم،ففرّعوا معاملة ساكني ديار الكفر واستحلال دماءهم وأموالهم وأعراضهم بناء على هذه القاعدة التي أصلوها.

فلوا أنهم أحسنوا هذا التأصيل لحسن التفريع، ولكفونا مؤنة الرد والكتابة، وهذه البدعة لم تكن موجودة من قبل في الساحة البتة، لكن ما الذي جعل الشيكوي يبتدع هذه البدعة ؟، وللحصول على الإجابة تابعنا بروِيّة...

الظروف التي نشأت فيها هذه الفكرة:

اختلف أهل العلم في حكم سبي المرتدة، على قولين، لكن الدولة الإسلامية -أعزها الله-، تميل لقول الجمهور من أن المرتدة ليس لها إلا الإسلام أو السيف، لظاهر قول النبي ﷺ: "(من بدل دينه فاقتلوه)"، وقوله: "(إنما النساء شقائق الرجال)"، فحكم المرتدة كحكم المرتد: الإسلام أو السيف!.

وعلى هذا أَلزَمت الدولة جنودها ووُلاتها في كل الوِلَايات، بما فيهم أبو بكر الشيكوي، وكان عليهم الامتثال حتى وإن كان فيهم مخالف.

غير أن الشيكوي له قصة آخر غير باقي الولاة، فهو قد سبى نساء المرتدين في البلاد التي فتحها، وخاصة مدينتي "باما" و"باقا"، وتسرّى ببعضهن واتخذ بعضهن أم ولد، فكان الأمر صدمة في عقبه، وأدرك أنه سيفترق بحظاياه من سراريه، وما وجد عن ذلك محيدًا إلا أن يبتدع في دين الله، فسعى يتعسَّف ليتملص من هذا الأمر، وهنا سرى الداء الأعدى من حمك الجرب.

قال -الشيكوي محاولًا التملص: "إنه أمسكهم عملًا بالقول الثاني لأهل العلم"، فقيل له: "يلزمك طاعة الخليفة وامتثال أمره بعدم سبي نساء المرتدين، حتى وإن كنت تخالفه الرأي فيهم، وإلا كنت عاصيًا لله بعصيانك أمر إمامك".

فإذا تصرف الإمام أو نائبه بما تختلف فيه الاجتهادات طبقًا لأحد الأقوال المعتبرة، فلا ينقض ما فعله ذلك أحد، ويصير كالمتفق عليه.

قال ابن تيمية : "إذا كانت المسألة من مسائل الاجتهاد التي شاع فيها النزاع لم يكن لأحد أن ينكر على الإمام ولا على نائبه من حاكم أو غيره، ولا ينقض ما فعله الإمام ونوابه من ذلك".اهـ[1].

ثم إنه ازداد تشططا حيث بان عوره واتباعه الهوى دون الهدى، وانكشفت عورته وبدت سوءته، فأراد أن يعيد شيئا من ماء وجهه، بالروغان طبعا لا بمراجعة الحق، فأتى بحيلة غريبة قائلا: " إن الله أمرني بالسبي ونفى عني اللوم قائلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾

بهذا أمرني ربي، ثم يأمرني عربي بمخالفة أمر ربي في السبي ويحرمها علي؛ فمن أحق بالطاعة ؟، آلله أم "الخليفة" ؟!!.

وأيضًا إنه أراد استدامة سوقه، غير مبال إلى ما أداه ذلك، رغم الحق الذي أبهته، فخرج بهذه البدعة وقال إن الأصل فيهم الكفر، وإنه سبى نساءهم كافرات أصليات.

وذلك بالمراوغة والتلميح كما هي دأبه، والمواقف التي بدأ يسفر عن بدعته، وأفصح عن فكرته هاته صراحة موقفان حضرناهما.

- **الموقف الأول:** التي سنحت له بإظهار هذه الفكرة، هو أنه تمارى ذات يوم أخ مع أحد تلاميذ الشيكوي، على كفر محمدو بخاري، -طاغوت نيجيريا-، أكفره أصليّ أم مرتد، فذهب التلميذ إلى شيخه وأخبره بما جرى بينه وبين الأخ من تحاجّ، فقام الشيكوي يبرق ويرعد، ورفع عقيرته قائلا:"كافر! كافر! والله كافر! كاااااافرررررر"، فاجتمع الناس حوله -طبعًا أهل مركزه ونحن حاضرون-، فبدأ بالهُراء والنعيق لمدة يقارب ساعتين، يبني تارة ويهدم أخرى ويعقد فينة ويناقض بعد هنيهة، حتى استثمر النتيجة الآتية:-

أن الأصل في محمد بخاري وجعفر محمود آدم وغيرهما من أسماء أعلام ذكرهم ممن ينتسبون إلى الإسلام، أنهم كفار أصليون، وقال : -موجود تسجيلها ومنتشر- "من قال بردّة بخاري عن الإسلام؛ فهو كافر، نعم القول بردتهم لا يجوز، هم ليسوا مرتدين بل كفارٌ أصليون".

- **والموقف الآخر:** أنه ذات يوم انصرفنا من إحدى صلاتي الظهيرة -نسيتها عصرًا أم ظهرًا-، فاستدار إلينا بوجهه وقال: "هناك سؤال أريد أن أختبركم بها، وهذا سنة كما تعرفون، ما حكمنا نحن الذين وُلِدنا في دار الكفر بعد سقوط دولة عثمان بن فوديو؟، فأجابه أحد شرعييه -وهو مالم شاري الذي ظهر في إصدار البيعة ثم ظهر ملثما في نكثها- قائلًا: نحن ولدنا من آباء مرتدين لأنهم رضوا بالحكام الديمقراطيين، فنحن فرع من أصل

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٤٠٧)

قوم مرتدين كافرين، فالأصل فينا الكفر، فقال الشيكوي: هذا هو الصواب، آباؤنا كفروا بعد سقوط دولة ابن فوديو، ونحن ولدنا في الكفر وترعرعنا فيها فالأصل فينا الكفر.

الرد عليه:-

إن هذه البدعة؛ هي مما اخترعها خوارج العصر الغالين، ووافقهم الشيكوي على ذلك، يقول الشيخ المجدد أبو محمد العدناني–رحمه الله-: «"إن القول بأن الأصل في الناس الكفر؛ لهو من بدع خوارج العصر، وإن الدولة بريئة من هذا القول، وإن من اعتقادها ومنهجها وما تدين الله به؛ أن عموم أهل السنة في العراق والشام مسلمون، لا نكفر أحدًا منهم إلا من ثبتت لدينَا ردته بأدلة شرعية؛ قطعية الدلالة قطعية الثبوت"» اهـ.

والرد على هؤلاء يكون من أوجه:

- الوجه الأول: قولهم بردة المسلمين بعد سقوط الدولة الإسلامية في بلاد السودان على أيدي المحتلين، والذين لم يَخرُجوا من البلاد إلا بعد ما غيَّبوا الدين، وعطَّلوا مناهجه العلمية، وبدَّلوه بما استودعوه من سمهم الزعاف التي بثّوها في المسلمين، كمدارسهم الأجنبية التي يُدرَّس فيها من العلوم ما يخالف الشرع الحنيف.

إن كان قصده ارتد المسلمين بعد هذا، فهذا مجازفة عار من الصحة، وقوله باطل مردود، لم ينقل عن أحد وقوع المسلمين في ردة جماعية كما يُخيّل إلى أصحاب هذه الأفكار، بل الكثيرون ما انفكوا يعادونهم ويكرهون أفكارهم الغربية، كما عُلم من معظم علماء الزوايا وطلاب العلم مناوئة الإستعماريين، وكرههم تعليم أبنائهم في مدارس الكفر وانتظامهم في حكومته، وما فتئوا كذلك إلى وقتنا هذا، وهم من أطلقوا على المدارس اسم "بوكو" أي الأفكار المذمومة، هذا ما نقل إلينا بالتواتر التي لا يحتمل النقيض.

فإذا تقرر ذلك؛ لم يبق لهؤلاء الخوارج إلا أن يقولوا كفروا لكونهم لا يظهرون العداوة لهؤلاء الطواغيت؛ لعدم اعتراضهم على حكامهم الذين يلزمون الناس بالتحاكم إلى القوانين الوضعية، ولم يقاتلوهم أو ينابذوهم على الأقل.

وأيضًا... حتى وإن لم يُظهروا عداوتهم لهم فإظهار العداوة ليس شرطاً لإسلام المرء إن كان يتبرأ منهم في نفسه ويبغضهم في سريرته.

كما أجاب الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ -رحمه الله- لما سئل عمن كان في سلطان المشركين، وعرف التوحيد وعمل به، لكنه لم يظهر لهم العداوة ولم يفارقهم ؟.

قال: "مسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة؛ فالأول يعذر به مع العجز والخوف لقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً ﴾ والثاني - وجود العدواة- لا بد منه لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت" اهـ[1].

وهذا سنتناول الكلام عنه بتفصيل في مبحث تكفير ساكني ديار الكفر –إن شاء الله-[2].

ولما تقرر عند السلف أن القول: "إذا كفر الحاكم كفرت الرعية، الغائب منهم والشاهد" قول أهل الغلو البيهسية والعوفية من الخوارج، ولا يقوله إلا من هو على نهجهم دارج، ممن حادوا عن سبيل ذي المعارج؛ علِمنا أن كفر الحكام وارتدادهم لا يجعل الرعية مرتدين، فضلًا عن تأصيل الكفر فيهم، والعياذ بالله؛ تبيّن لنا أن استيلاء الكفار على بلد لا يجعل أهلها كفارًا، ولا يُؤصل الكفر في أبنائهم بمجرد تطاول الأزمان وتوالي الدهور على حكمهم لتلك البلاد؛ فالعبيديون الملحدون الذين احتلّوا بلاد المغرب وملكوها ما يربوا على قرنين من الزمان؛لم يُنقل عن السلف تكفير عموم ساكني ديارهم ولا تأصيل الكفر على أبنائهم، وإنما اكتفوا بالقول بكفرهم هم.

يقول ابن تغري بردي مخبراً عن حال عبيد الله القداح وأحفاده: "ثم ترقّت به الحال إلى أن ملك المغرب وبنى المهدية وتلقب بالمهدي؛ وكان زنديقاً خبيثاً عدواً للإسلام، من أول دولتهم إلى آخرها، وذلك من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين إلى سنة سبع وستين وخمسمائة".

يقول ابن كثير عنهم: "وأن هذا الحاكم بمصر؛ هو وسلفه كفار فساق، فُجَّار ملحدون زنادقة معطِّلون وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والوثنية معتقدون، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبّوا الأنبياء، ولعنوا السلف وادعوا الربوبية".

فانظر أيها المفتون، انظر لهؤلاء العبيديين رغم ارتكابهم النواقض ووقوعهم في ظلمات بعضها فوق بعض، هل قال أهل العلم على ساكني ديارهم ما تقول في ساكني ديار الإسلام التي طرء عليها الكفر باحتلالها من قبل الصليبيين !؟.

بل قد كان في دولة العبيديين علماء وفقهاء وصالحون كثير، فمنهم من كان مستخفِيًا ولا يقدر على إظهار عقيدته في بني عبيد، بل ولا حتى التحديث بحديث رسول الله ﷺ مخافة أن يُقتل، كما حكى الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال صاحب عبد الغني بن سعيد أنه امتنع من رواية الحديث خوفًا أن يقتلوه.

---

(١) الدرر السنية (٨\٣٥٩).
(٢) انظر الصفحة: ٩١

- **الوجه الثاني:** قوله: "نحن فرع من أصل قوم مرتدين كافرين، فالأصل فينا الكفر"، يخالف ما كان عليه السلف؛ إذ أن أبناء المرتد عندهم تنقسم حسب ردة الآباء، من دخول الانتخابات أو مناصرة الكفار على المسلمين، ومن تغيير مذهبهم من السنة إلى مذهب كفري كالرفض، او انتقال من الإسلام إلى ملة أخرى.

*** **فالقسم الأول:** أن يرتد الأبوان بارتكابهما لناقض الإسلام يختص بهما كسب لله تعالى، أو مناصرة للكفار على المسلمين ونحوها؛[1] فأبناؤهم مسلمون على الأصل، إذ أنهم ينتسبون للإسلام والظن الراجح أن ينشأ أبناؤهم على الإسلام.

عن أبي هريرة أنه كان يقول قال رسول الله ﷺ «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**» ثم يقول أبو هريرة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية.

لذا قال الإمام النووي عن من طرأ على أبويه الردة: "أما ولد المرتد، فإن كان منفصلًا، أو انعقد قبل الردة فهو مسلم، حتى لو ارتدت حامل؛ لم يحكم بردة الولد..." اهـ[2]

*** **القسم الثاني:** أن يرتد الأبوان بارتكابهما لناقض من نواقض الإسلام مع اتخاذه مذهبًا وطريقة؛ -كالشيعة الرافضة، والإلحاد وغيرها مما اعتنقوها كمذهب- فأبناؤهم مرتدون لغلبة الظن على تنشئة أبنائهم على ذلك.

قال الإمام القرافي: "قال مالك: وكل ما ولد للمرتد بعد ردته [التي اتخذها مذهبًا] لهم حكم المرتد..."اهـ[3]

وقال العلامة سليمان البُجَيرمي الشافعي: "وهذا تعريف للردة الحقيقية، أما ولد المرتد الذي انعقد في الردة؛ فهو مرتد حكمًا؛ لعدم انقطاع الإسلام منه..." اهـ

*** **القسم الثالث:** أن يرتد الأبوان بانتقالهم إلى دين جديد كاليهودية أو النصرانية؛ فأبناؤهم كفار أصليون.

قال الإمام الزركشي: يقرون بالجزية، لأنهم ولدوا بين كافرَين، ولم يسبق لهم حكم الإسلام، فجاز إقرارهم بالجزية كأولاد الحربيين [من أهل الكتاب].. اهـ

ويتضِح لنا من هذا التقسيم أن من ارتد أباه بالنصرة للكفار على المسلمين؛ لا يصح أبناءه بالكفر نتيجة التوالد فضلًا عن تأصيل الكفر عليهم.

---

(١) كالحال فيمن رضوا بالمستعمرين وعاونوهم، أو المرشحون الذين نازعوا الله في أخص خصوصيته وهو التشريع في العباد.
(٢) روضة الطالبين (١٠/٧٧).
(٣) الذخيرة (١٢/٤٢).

والمرتد عند أهل السنة قسمان، من التزم الإسلام ظاهرًا وباطنًا، ثم ارتكب ناقضًا من نواقضه؛ فهو مرتد حقيقة، لأنه قطع للإسلام او رجوع عنه، وأما من جاء بالإسلام ظاهرًا ثم نقضه أو انتسب إلى الإسلام وهو يأتي ما يناقضها؛ فهو مرتد حكمًا، إذ أنه لم يتبرأ من الكفر أصلًا.

قالت مكتب البحوث والدراسات بدولة الخلافة، تعليقًا على كلامٍ للإمام ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله- حين قال: "وهنا مسائل تكلم فيها الفقهاء، فمن صلى ولم يتكلم بالشهادتين، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام ولم يتكلم بهما هل يصير مسلماً أم لا؟ والصحيح أنه يصير مسلماً بكل ما هو من خصائص الإسلام" اهـ

قالت المكتب مُعلّقة: "وبهذا تعلم أن كل من انتسب للإسلام وأتى بما يناقضه فهو مرتد، فالطوائف المنتسبة للإسلام كطوائف الشيعة؛ هم مرتدون لا كفار أصليون، ولم نقف على نقل عن إمام من أئمة السلف سمى من انتسب للإسلام –ممن وقع في الكفر- كافرًا أصليًا". اهـ[1].

---

(١) من تقسيم الردة إلى هنا نقلتها من "حكم الشريعة في طوائف الشيعة" للمكتب البحوث والدراسات بالدولة الإسلامية، بتصرف.

تناقضات قبيحة:

وإن مما يدل على سماجتهم وخفة عقولهم ، أنهم يحاصرون أنفسهم ويضيّقون الخناق عليها، فلو أسلمنا له أن الأصل فيهم الكفر؛ لا بد أن يُحكم بإسلامهم بمجرد نطقهم للشهادة، أو فعلهم لبعض خصائص الإسلام- كما ذكرها ابن أبي العز في قوله الآنف-، ويجب الكف عن قتلهم وإن نطق بها بعد القدرة عليه بإجماع أهل العلم، قال ابن حجر رحمه الله: "ولو أسلم الأسير زال القتل اتفاقًا، وهل يصير رقيقًا أو تبقى بقية الخصال، قولان للعلماء" اهـ[١].

وهذا بخلاف المرتد ردة مغلظة؛ فإنه يُقتل وإن تاب ما دامت توبته بعد القدرة عليه؛ لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: **"(من بدل دينه فاقتلوه)"** وسوف نبسط الكلام عنه في نهاية البحث.

فإذا تقرر ذلك، سنفترض على أن أهل برنوا كلهم كفار أصليون، لكنهم نطقوا بالشهادتين في الآذان وإقامة الصلاة، فإنه يجب الكف عنهم في الحال ولم يُستهدفوا حتى يُظهِروا خلاف ذلك، ومن استهدفهم فإن الله بريء منه ورسوله، وما قصة خالد في جذيمة وبراءة النبي ﷺ عن فعله؛ منا ببعيد.

وعن المقداد بن الأسود، أنه أخبره، أنه قال: يا رسول الله، أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ : **"(لا تقتله)"**، فقلت: يا رسول الله، إنه قطع يدي، قال رسول الله ﷺ : **"(لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال)"**.[٢]

فمن هنا نفهم أنه لا يجوز استهدافهم أو تقصدهم بالعمليات في المساجد ما داموا كفاراً أصليين على هذا المثال، ومهما فعلوا بالمسلمين من القتل والتنكيل قبل أن ينطقوا بكلمة التوحيد؛ فمن أظهر لنا الإسلام قبلناها منه وكففنا عنه حتى يظهر ضده، هذا ما أوجبه الله علينا.

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾[٣]، قال الإمام القرطبي حول تفسير الآية: " والمسلم إذا لقي الكافر ولا عهد له جاز له قتله، فإن قال: لا إله إلا الله لم يجز قتله، لأنه قد اعتصم بعصام الإسلام المانع من دمه وماله وأهله: فإن قَتلَه بعد ذلك قُتل به. وإنما سقط القتل عن هؤلاء لأجل أنهم كانوا في صدر الإسلام وتأولوا أنه قالها متعوذاً وخوفاً من السلاح، وأن العاصم قولها مطمئناً، فأخبر النبي ﷺ أنه عاصم كيفما قالها، ولذلك قال لأسامة: **(أفلا شققت عن قلبه حتى تَعلم أقالها أم لا)** أخرجه مسلم. أي تنظر أصادق هو في قوله أم كاذب؟ وذلك لا يمكن، فلم يبق إلا أن يبين عنه لسانه. وفي هذا من الفقه باب عظيم، وهو أن الأحكام تُناط بالمظان والظواهر لا على القطع واطلاع السرائر. اهـ[٤].

---

(١) فتح الباري (١٥٢/٦).

(٢) صحيح مسلم/ باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا اله الا الله (١٣٩).

(٣) سورة النساء [٩٤].

(٤) تفسير القرطبي (٥\٣٣٩).

هنا نفهم من كلام القرطبي -رحمه الله- أنه لا يمكننا أن نتوقف عن الحكم بإسلام من أظهر لنا الإسلام، وإن تعمد أحد قتله فإنه يُقتص له منه، وإن أخطأ ودَاه.

هكذا نعامل من انتسب إلى الإسلام ولم يظهر لنا منه ناقض، سواءً كان في دار الإسلام أو دار كفر، وأما إذا تلبّس بناقض قطعي الدلالة، كالقبورية والرفض والديمقراطية وغيرها من النواقض، وعندنا الإثباتات على ذلك كمن رأيناه متزياً بزي الجيش أو الشرطة أو غير ذلك من الأزياء للحكومة المرتدة التي لا يرتديها غيرهم؛ فإنا نحكم بكفره ونجري عليه أحكام المرتد حينها ونستهدفه.

فعصمة الدم والمال وغيرها من الأحكام التي كلفنا الله بها شيء، والحكم الديني التي يترتب عليها الفلاح في الآخرة والفوز بالجنان شيء آخر، لا بد أن يفهم هذا وينظر فيه، وذلك في النظر في كلام العلماء بتمعن وروية.

فالمسلمون من حيث الحكم نوعان، مسلم حقيقي ومسلم حكمي؛ فالمسلم الحكمي؛ هو من جاء بعقد الإسلام أي (الشهادتين) أو انتسب للإسلام أو أظهر شيئاً من شعائره الظاهرة، فهذا نحكم له بالإسلام ونجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا، ولو كان مبطناً للكفر مظهراً للإسلام.

والمسلم الحقيقي هو من كان مؤمناً ظاهراً وباطناً، وأتى بشروط لا إله إلا الله واجتنب نواقضها، وهو مسلم على الحقيقة في الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "قلت: قبول الإسلام الظاهر يجري على صاحبه أحكام الإسلام الظاهرة: مثل عصمة الدم والمال والمناكحة والموروثة ونحو ذلك وهذا يكفي فيه مجرد الإقرار الظاهر وإن لم يعلم ما في باطن الإنسان، كما قال ﷺ: (**فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**)، وقال :(**إني لم أُؤمَر أن أُنقِّب عن قلوب الناس ولا أن أشق بطونهم**)، ولهذا يقاتل الكافر حتى يسلم أو يعطي الجزية فيكون مكرهاً على أحد الأمرين ومن قال : لا تؤخذ الجزية من وثني قال : إنه يقاتل حتى يسلم وأما الإيمان الباطن الذي ينجي من عذاب الله في الآخرة؛ فلا يكفي فيه مجرد الإقرار الظاهر بل قد يكون الرجل مع إسلامه الظاهر منافقاً وقد كان على عهد رسول الله ﷺ منافقون وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن في غير ما موضع، وميز سبحانه بين المؤمنين والمنافقين في غير موضع". اهـ[1].

فهذا هو أصول أهل السنة وهذا هو دين الله القويم، ولكن هؤلاء المارقين ارتكبوا مثل هذا التناقض العجيب بجهلهم للدين وأصوله، ثم يدّعون أنهم أشد الناس كرهاً للكفر وتنزيهاً للإسلام من أن يَنتسب له مرتد لم يحسن الإسلام ابتداءً.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، (٧\٤٣٥).

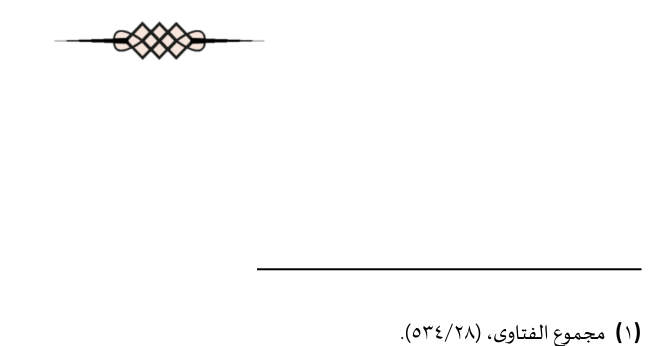
كما قال ذلك حاخامهم في الرد على الإخوة: "وإنني أشد إباءً وكرهاً للكفر منهم، هم يقولون بالردة بمجرد الانتساب للإسلام، والقرآن يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ﴾ وهؤلاء متى آمنوا ولم يكملوا شروط الإسلام، ولانتهوا من نواقضها !؟".

حسبوا أن وسم الرجل بالكفر وتأصيله فيه؛ هو أقصى وأشد حكمًا عليه، وهذا جهل عريض، وقد خالفوا قول السلف في ذلك.

قال شيخ الإسلام: «وقد استقرّت السنّة بأنّ عقوبة المرتدّ أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعدّدة، منها أنّ المرتدّ يُقتل بكلّ حال ولا يُضرب عليه جزية، ولا تُعقَد له ذمّة، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال، فإنّه لا يُقتل عند أكثر العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد، ولهذا كان مذهب الجمهور أنّ المرتدّ يُقتل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد، ومنها أنّ المرتدّ لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي إلى غير ذلك من الأحكام». اهـ [1].

هنا يتبيَّن أنهم لا يدرون بوقاحتهم هذه يفوّتون لنا على المرتدين أحكاماً ومآخذ كثيرة دون الكافر الأصلي، والذي قاله شيخ الإسلام هو ما ندين الله به، وهذا هو المنهج القويم، والصراط المستقيم، التي كان عليها رسول الله ﷺ وصحبه، ووالله لا يخالف هذا أحد إلا تاه وضل عن الدين الحنيف، وحجبه فهمه السقيم عن صافي المعرفة وصحيح الإيمان؛ إذ ابتغى التعسف نهجاً ليستدل على باطله بالتحريف، وهذا ما حصل لهؤلاء.

وأيضًا... من رعونتهم وتناقضاتهم العجيبة !، أنهم لم يستتيبوا أحداً أو يستنطقوه الشهادتين إذا جاء راغباً التحاق بهم، رغم تأصل كفرهم عندهم !، أم ياترى أن مجرد اللحاق بركب الشيكوي هو الإسلام، والانفصال عنه كفر وضلال ؟!!!، وإلا كيف لنا أن نفسر أن يُعمم الكفر على الناس ويؤصله فيهم، ثم نراه إذا التحق بركبهم يعامل معاملة المهاجر لا التائب !، فالله المستعان على ما يصفون.



(١) مجموع الفتاوى، (٥٣٤/٢٨).

الفصل الثالث: المناطات التي يُكفِّر بها

إن التكفير حكم معلَّل مُرتَّب على وصف، وهذا الوصف يجب أن يثبت بدليل شرعي، ولن يتحقق في المحكوم عليه إلا إذا توافرت فيه الشروط التي تستلزم كفره وانتفت الموانع التي تمنع من تكفيره، ولا يخالف ذلك إلا من أشربت نفسه بمقولة الغلاة، وسلك مسالك الخوارج .

ولكن لجماعة الشيكوي مناطات يُكفّرون بها الناس زيادة على المناطات والنواقض التي أصّلها أئمة أهل السنة والجماعة.

فأعملوا سيوف التكفير وأسنته في أمة محمد ﷺ ... ولم يميزوا بين برّها وفاجرها، فكفّروا باللوازم والظنون، ومن دون مراعات الضوابط والموانع التي أثبتها أهل العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال شيخ الإسلام: "إن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق، كما دل على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله، ليس ذلك مما يَحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يُحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير، وتنتفي موانعه ..". اهـ[١].

* * *

---

(١) مجموع الفتاوي (١٠١/٣٥).

المبحث الأول

الاستدلال بالمنكرات والكبائر للتكفير

نقول عملاً للإنصاف ومنعاً للإعتساف:إن جماعة الشيكوي لم يقولوا بكفر صاحب الكبيرة صراحة كما ذهب إليها أسلافهم، علما أن زعيمهم وقع في كبائر متعددة، كالكذب والتدليس والخيانة، -وسنشرح ذلك لاحقاً إن شاء الله- ولكنهم يكفِّرون ببعض الكبائر ويعاملون صاحبه كمرتد، فلا أدل على ذلك من دفنه القادة الذين قتلهم بلا جنازة، كما أخبرني بذلك من شاركوا في دفن القائدين مصطفى وكاكا الحاج، أما قصة مقتل أبي أنيسة فليس بخفِيّ.

من أمثلة ذلك ما يلي :-

أنه -الشيكوي- وفي تسجيل له يرد على مخالفيه من جنود الدولة، قال: " أتُراك تقول بإسلام عاشق كرة القدم، والذي يختلس ويدخل السينما لمشاهدة الأفلام".

وقال أحد تلامذته الذين تصدروا للفتوى: "إن ساكني ديارِ الكفر لا يتمثل كفرهم في عدم الهجرة فقط، بل يتعدد في تركهم لكثير من شعائر الإسلام ممتثلين لأمر الطواغيت، كالجلابيب التي أمر الله المؤمنات أن يدنينه، بحجة أن الطواغيت لن يدعهن، فهذا مخالفة لأمر الله وطاعة للطواغيت؛ وهو كفر".

ومسلكهم هذا مخالف لما كان عليه الجماعة من قبل زمن الشيخ أبي يوسف -تقبله الله-، فهو يُبيّن في أقواله تجنبه التعرض للتكفير إلا بإرداف ناقض عليها، وإنه يكتفي بتحريم الفعل والتحذير عنها حال فقدانه لناقض، كما فعل ذلك -تقبله الله- في درسه تفسيرَ ابن كثير، حول قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ هود: ١١٣ (١).

قال -تقبله الله ما مُلخّصه-:

إن أعداء الدين؛ لهم مقاصد في بثّهم الأفلام وعرضهم الألعاب الرياضية، فقصدهم ليس التسلية وإدخال السرور في نفوس المشاهدين، أنتم تستمتعون وتتسلون بمشاهدة جري الحصان وقتل فلان، معرضين عن مقصود أعدائكم الحقيقي في ذلك.

هم جعلوا في لعب الكرة وسيلة جذابة لموالات أعداء الله الكفرة، حيث تجعل الشباب المسلم يحب ويوالي اللاعب الكافر، بل يتسمى بأسمائهم ويتزيى بزيهم ويعلق صورهم في غرفه، وهذا هو أسمى أمانيهم، أما في برامجهم وأفلامهم، فيبثُّون فيها ما يجعل المسلم يبغض الإسلام ويعظم الأوثان والأصنام.

---

(١) سورة هود [١١٣]

وذلك بعرضهم رجلا يختارونه زعيم عصابة مجرمة ويزعمون أنه مسلم، يرخي لحيته وعليه هندام مسلم، فيقوم بأبشع الجرائم وأفظع المنكرات من قتل وتهجير وحرق البيوت، ثم يعرضوا نجم هذا الفيلم وثنيا يعبد الصنم، ويعرضون ذلك الزعيم يقتل والد النجم ووالدته ويحرق منزلهم، وقد يأسر الصبي وينكل به ويسومه العذاب، ثم بعد سنوات يقوم هذا الطفل وينوي الإنتقام من ذلك الظالم فيذهب إلى صنم له يدعوه ويتضرع إليه، وهنا يكمن السر! حيث تتفاعل مع هذا الكافر الفاسق وتتمنى أن يجيب له هذا الصنم، أو تذرف دمعة شفقة به!، نعم... لا تستبعدوا فهذا يحدث، وهذا هو لغز مقصدهم من إصدار تلك الأفلام، تفطّنْ أيها الشاب المسلم وتنبه ولا تركن إلى الذين ظلموا فتمسك النار. اهـ رحمه الله.

انظر إلى كلام الشيخ -تقبله الله- فلم يكفر مُشاهد مباراة الكرة بمجردها، بل ربط الكفر بموالات اللاعب الكافر.

فعدم ارتداء النساء للجلباب، وعدم الهجرة، والسعي خلف الكرة وغيرها؛ معاص بحت ليس كفراً، ولا يكفر أحد من المسلمين بمجرد فعل معصية إلا إذا استحلها، فعن عبد الله بن شقيق قال: (**كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة**)، فنقل عن الصحابة أنهم لا يرون كفر من ترك بعض الشرائع إلا الصلاة،قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "لا نكفر أحدا من المسلمين بذنب إلا تارك الصلاة".

وهذا معلوم من عقيدة أهل السنة: أنهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة بالذنب حتى يستحلها، ولا يصل عندهم إلى حد الكفر.

وقد قال تعالى: "﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: "**(... يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)**[2]. مما لا شك فيه أن هذين الدليلين ينسفان بنيان من كفّر بالكبيرة.

ولكن هناك بدع توصل إلى حد الكفر، بدع محدثات، عظائم المحدثات في الدين، قد توصل إلى الكفر؛ لأن البدعة بريد الكفر، وأما مطلق الذنوب ولو كانت كبائر، ولو كان مصراً عليها، فإنه لا يَكفُر بها، بل لا يُكفّر ما دام أنه يعترف أنها ذنوب وأنها محرمة، فالزاني وآكل الربى لا يكفر ما دام معترفًا أنه ذنب وحرام، وكذلك غيرها من مطلق الذنوب لا يصل إلى حد الكفر، إلا إذا اعتقد حلها فإنه يكفر بذلك، فإن مستحل الذنب المحرم يكفر ولو لم يفعله.

---

(١) سورة النساء، الآية [٤٨] و [١١٦].

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٥٤٠) مرفوعاً، وقال: حديث حسن صحيح.

والمخالف في هذا هم المعتزلة الذين يجعلون المذنب لا مؤمن ولا كافر، والخوارج الذين يجعلون الذنب كفراً.

* * *

المبحث الثاني

التكفير بالإقامة في دار الكفر

وهذا المبحث رغم استحقاقه فصلاً مستقلاً وبسط الكلام عليه؛ إلا أننا وضعناه هنا لشرطنا بعدم تثقيل الكتاب وتطويله، ولذلك سنكتفي بعرض كلماته ثم نرد عليها مجملاً إلا إذا احتجنا التفصيل.

عرض أقواله: قال -الشيكوي- في تسجيل له رادًّا على جنود الدولة القائلين بإسلام عموم أهل السنة أينما كانوا ما لم يرتكبوا ناقضًا من نواقض الإسلام،

قال: "وإن كان الرجل سُنيًا موحِّدًا لم يشرك بالله قط، بل لا يسبل إزاره، ولا يفتر عن العبادة، بل ولو كانت تعداد أنفاسه كلها عبادة، إن كان في دار الكفر ولم يظهر لهم عداوته فهو كافر".

وقال في تسجيل آخر يرد على الدولة: "إن القول بإسلام من لم يظهر عداوته للطاغوت أو لم يحاربه؛ مخالف للكتاب والسنة".

وقال في تسجيل له آخر مجيبًا أحد طلبة العلم الذي قال له مناقشًا: هل نكفر كل من خرج من هنا إلى دار الكفر؟. فقال: "نعم"، قال له الأخ: ألا نستفسر عن سبب خروجه، حتى نعلم أكان خروجه عن ظلم حلّ به فخاف على نفسه الظلم والقتل ففر بنفسه، ثم نحكم له بحسب حاله، وقد قال ابن حزم بجوازه- أي الفرار إلى دار الكفر لخوف الظلم-؟،

قال -الشيكوي-: "اسمع ابن حزم لم يقل ذلك، وبأي سبب كان ذهابه فهو كافر، وليس في الخوف عذر، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ فخوف غيره يعني انتفاء الشرط؛ فهو كافر، وأيا كان سبب خروجه فهو كافر".

ويسترسل الشيكوي متَعسِّفًا لتسلَم له نظريته، هارعًا للدفاع عن ما سيثار ضده من استنكار، فتسلل لواذًا من أسلمته للمقيمين في دار الكفر من قبلُ هو وشيخه -الشيخ أبو يوسف - ويصفهم بقتلى المسلمين، قال: "نحن لم نكن ندري أننا وقعنا في كفر حينما كنا في "ابن تيمية"، حيث نرى إسلام من قتلوا من "بلاتو" و"كفانشان" و"لاغوس" وغيرها ممن يدّعون الإسلام وهو منهم بريء".

وهذا والله هورأي الخوارج بعينه، فقد ذكر الأشعري -رحمه الله- عن إحدى فرق الخوارج، فقال: "زعمت الأزارقة أن من أقام في دار الكفر فهو كافر، لا يسعه إلا الخروج".

ولدحض هذه الشبهات نقول: إننا لا ننكر وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وأن السكنى في ديار الكفر وعدم الهجرة منها، معصية كُبرى يستحق صاحبها عذاب النار كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [١].

ولكن لا يلزم من كُفر البلاد وحكّامها وأنظمتها، تكفيرُ المحكومين والساكنين، ولا يستلزم طروء الكفر وزوال حكم الإسلام عن دارٍ الحكمَ بردة من أقام فيها؛ فمجرد السكنى في دار الكفر ليس بناقض ينتقض به الإسلام.

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله-: "اعلم أن التعرض لذكر دار الإسلام ودار الكفر، قليل الفائدة جدًا -أي في الحكم على قاطنها- لما قدمنا لك في الكلام على دار الحرب، وأن الكافر الحربي مباح الدم والمال على كل حال، ما لم يؤمن من المسلمين، وأن مال المسلم ودمه معصومان بعصمة الإسلام، في دار الحرب وغيرها". اهـ[٢].

وذلك لأن القاعدة الأصولية قد تقررت على أن "الأصل بقاء ما كان على ما كان"، فالأصل في المسلم بقاء إسلامه فوق كل أرض، وتحت كل سماء، ما لم يرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، وما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بدليل قاطع ولا يحكم بزواله لمجرد الشك.

وإلا لكان مضمون قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [٣]، ممتنع ولا فائدة لها؛ إذ أنه لا يوجد في دار الحرب مسلم -بحد زعمهم- فلا ضرورة للتثبت والنظر في حال من لقيه المؤمنون في دار الكفر، وهذا مخالف لمفهوم الآية، ويقضي عبثية نزول هذه الآية، والعبث ممتنع في حق الله تعالى، فسبب نزولها تبين لنا زيف ادعائهم وبطلان شبهتهم.

عن ابن عباس قال بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقى رجل له مال كثير لم يبرح فقال أشهد أن لا إله إلا الله، وأهوى إليه المقداد فقتله فقال له رجل من أصحابه أقتلت رجلًا شهد أن لا إله إلا الله والله لأذكرن ذلك للنبي ﷺ فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله إن رجلًا شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد فقال: **أدعوا لي المقداد. فقال: يا مقداد أقتلت رجلًا يقول لا إله إلا الله فكيف لك بلا إله إلا الله غدًا** قال فأنزل الله عز وجل الآية. فقال رسول الله ﷺ للمقداد:**كان رجل مؤمن يُخفي إيمانَه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تخفى إيمانك بمكة من قبل**).[٤]

ومما يجب العلم به، أننا إذ نقرر عدم التكفير بمجرد السكنى في دار الحرب أو الذهاب إليه، فيجب العلم بأنه ليس كل ساكن أو ذاهب إلى بلاد الكفر يسلم من الكفر، كما قرره الأئمة –رحمهم الله- في كتبهم،فقد قسّم الشيخ حمد بن عتيق -رحمه الله أحوال المقيمين في دار الكفر إلى ثلاثة أقسام، وهاك إيجازها:

---

(١) سورة النساء [٩٧].
(٢) السيل الجرار للشوكاني (٤\٥٧٦).
(٣) سورة النساء [٩٤].
(٤) المعجم الكبير – الطبراني (١٢٣٧٩).

١- أن يقيمَ عندهم رغبة واختيارًا لصحبتهم، فيَرضى بما هم عليه من الدين أو يمدحه، أو يرضيهم بعيب المسلمين، أو يعينهم عليهم بأي نوع من المعاونة فهو كافر.

٢- أن يقيم عندهم لأجل مال أو أهل وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة، ولا يعينهم على المسلمين ولا يواليهم فهو عاص لله بتركه الهجرة وقيامِه في أرض الكفر.

٣- من لا حرج عليه في الإقامة بين ظهرانيهم وهو نوعان:

- أن يظهر دينه بالبراءة منهم ومن دينهم، ويصرح لهم بذلك، فهذا إظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة.
- أن يقيم عندهم مستضعفًا، وهو يتلهف شوقًا إلى دار الإسلام لكنه لا يملك القدرة على ذلك، اهـ بتصرف.

فالشاهد من هذا كله أن أحوال المسلمين تحت حكم المتغلبين الكفار في كل زمان تغلبوا فيه على بعض ديار الإسلام، كانت تتفاوت بين مستضعف مستخف أو آخذ بالتقية أو مجاهد قائم بدين الله تبارك وتعالى، ولم يكن العلماء يطلقون الكفر على أحد من هؤلاء ما داموا غير متلبّسِين بشيء من نواقض الإسلام وأسباب الكفر الظاهرة، فإخفاء الإيمان وعدم إظهار العداوة، والسكنى في دار الحرب لا يخرج من الملة بحد ذاته إلا إذا أردفت عليها ناقض من نواقض الإسلام،كمن ظاهر الكفار أو المرتدين أو أظهر موالاتهم أو صار من أهل دولتهم وحكمهم الكفري.

قال ابن القيم -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ ﴾ الفتح: ٢٥، "فهؤلاء كانوا يكتمون إيمانهم في قومهم ولا يتمكنون من إظهاره، ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه، ومن هؤلاء النجاشي الذي صلى عليه رسولُ الله ﷺ فإنه كان ملك النصارى بالحبشة وكان في الباطن مؤمنًا".[١].

وهؤلاء رغم كونهم في مكة لم يحكم الله عليهم بالكفر تبعًا للأغلبية كما يفعله الغلاة، وهذا أيضًا يدل على عدم إظهار عداوتهم لقومهم الكفار.

والنصوص التي جاءت تدل على ذلك كثيرة جدًّا، منها:-

*** قوله تعالى جل جلاله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ [٢]

---

(١) التفسير القيم لابن القيم، (١٩٠/١).

(٢) سورة الأنفال [٧٢].

فجمع الله بين وصفهم بالإيمان وتركهم الهجرة، فوصف الله لهم بالإيمان نفى عنهم ضده، فعلمنا حينئذ أن المسلم لا يكفر بمجرد ترك الهجرة.

*** وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ (١).

قال ابن كثير: "وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط فلم يُظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون ﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ فأخذت الرجلَ غضبةٌ لله عز وجل".اهـ(٢)

ومحل الشاهد هنا وصف الله له بالإيمان مع أنه يكتم إيمانه في قومه، وكتمان الإيمان يقتضي عدم إظهار العداوة لفرعون وقومه.

*** قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: "وقوله تعالى: ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣). قال البغوي رحمه الله: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان". اهـ (٤).

وهذا لا يحتاج إلى تعليق أو مزيد بيان، فالجاحد المعاند لن يصمد أمام هذا القول إلا بالمراوغة والعبث بكلام الله.

*** قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ (٥)

قال الإمام الطبري: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة.

وقال سليمان بن عبد الله:﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ وهو: أن يكون الإنسان مقهوراً معهم، لا يقدر على عداوتهم، فيظهر لهم المعاشرة وقلبه مطمئن بالبغضاء والعداوة، وانتظار زوال المانع، فإذا زال رجع إلى العداوة والبغضاء.(٦)

---

(١) سورة غافر [٢٨].
(٢) تفسير ابن كثير (١١٢/٤).
(٣) العنكبوت: [٥٦].
(٤) (الدرر السنية ١\١٣٤) ، الأصول الثلاثة (١٢).
(٥) آل عمران: ٢٨
(٦) الدرر السنية (١٢٣/٨).

وأما مستور الحال في دار الكفر الطارئ، ممن لا ندري إسلامه من كفره؛ فإنا نأخذه بالظاهر والله يتولى السرائر، فإن أظهر لنا شعائر الإسلام، أو أظهر خصائص المسلمين: بأن تزيّى بزيهم مثلًا، أو وجدنا مصحفا في جيبه؛ فإننا نحكم بإسلامه، ولا يحل لنا تكفيره ما لم يظهر لنا منه ناقض، وأما أن يكون صادقًا في باطنه أو لا يكون، فنحن ما علينا من حسابهم من شيء، بل حسابهم إلى الله -جل وعلا- علام الغيوب، ولم يكلفنا نحن إلا بالأخذ بالظاهر، ولا أُمرنا بتنقيب الصدور وامتحان العقائد.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "ولكن من أظهر الإسلام وظننَّا أنه أتى بناقض، لا نكفره بالظنِّ؛ لأن اليقينَ لا يرفعه الظن، وكذلك لا نُكفّر من لا نعرف منه الكفْرَ، بسبب ناقض ذُكر عنه ونحن لم نتحققه". اهـ[1].

ونختم بقطعة تناسب الموضوع من فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : عن بلد "ماردين" المشهورة.
قال –رحمه الله- فيها: "الحمد لله، دماء المسلمين وأموالهم محرمة حيث كانوا في "ماردين" أو غيرها،.... ولا يحل سبهم عموما ورميهم بالنفاق؛ بل السب والرمي بالنفاق يقع على الصفات المذكورة في الكتاب والسنة فيدخل فيها بعض أهل ماردين وغيرهم، وأما كونها دار حرب أو سلم فهي مركبة : فيها المعنيان ؛ ليست " بمنزلة دار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام؛ لكون جندها مسلمين؛ ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار؛ بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه". اهـ[2]

وسنكتفي بهذا القدر، فإن فيه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وقد قطَعتْ جهيزة قول كل خطيب، وقطع لسان كل معترض عنيد، وسد في وجهه أبواب الجدال وكفى الله المؤمنين القتال.

ومن أراد التبسط فليرجع إلى بطون كتب أهل العلم، وما "السلسلة العلمية في بيان مسائل منهجية" التي نشرته إذاعة البيان عنا ببعيد، وننصح الإخوة بالاستفادة منه؛ فإنه قيم مفيد فريد في بابه.

وأما قوله : "لا عذر في الخوف"؛ فماذا يقول في قوله تعالى مخبرًا عن نبيَّيْه هارون وموسى: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ طه: ٤٥
قال الإمام القرطبي: وهذه الآية ترد على من قال: "إنه لا يخاف"، والخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه مع معرفتهم به وثقتهم، ولقد أحسن البصريُّ رحمه الله حين قال للمخبر عن عامر بن عبد الله- أنه نزل مع أصحابه في طريق الشام على ماء، فحال الأسد بينهم وبين الماء، فجاء عامر إلى الماء فأخذ منه حاجته، فقيل له: فقد خاطرت بنفسك، فقال: لأن تختلف الأسنة في جَوفي أحب إلي من أن يعلم الله أني أخاف شيئا سواه-: قال الحسن: قد خاف من كان خيرًا من عامر، موسى عليه الصلاة والسلام، حين قال له الرجل: " ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ القصص: ٢٠ - ٢١

---

(١) الدرر السنية (١٠/١١٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤١). بتصرف

وقال: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ وقال حين ألقى السحرة حبالهم وعصيهم: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ طه: ٦٧ – ٦٨.

قال العلماء: فالمخبر عن نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس بني آدم عليه كاذب، وقد طبعهم على الهرب مما يضرها ويؤلمها أو يتلفها. اهـ[1].

* * *

(١) تفسير القرطبي (١١\٢٠٢-٢٠٣).

المبحث الثالث

البطاقة الجنسية

أما بطاقة التجنس وغيرها من الأوراق التثبّتية؛ فحدث ولا حرج عن مدى تفاقم الخلاف حولها، بل أدى الأمر إلى تكفير من لم يكفر حاملها وقتله، كما حدث ذلك مع الشيخ أبي العباس بانا بولا شيري البنكاوي، لما أفتى بجواز استخراجها لمن يريد السفر بحرية في أراضي الطواغيت، وإن كان هذا ليس هو السبب في قتله فقط، ولكنها القشة التي قصمت ظهر البعير لما انضافت إلى حقد دفين عليه، والله المستعان.

ولقد وجهنا استفتاءً حول هذه القضية لهيئة البحوث والدراسات في الدولة الإسلامية، فجاءت حاسمة بفضل الله وحوله وأبهتت المخالفين الذين افتأتوا على الله وتقولوا بما لم ينزل به عليهم سلطانًا، ويحكمون على الناس بالكفر بغير دليل قاطع، وهاؤم السؤال والفتوى.

السؤال عن البطاقة:

سؤالنا اليوم عن حكم استخراج بطاقة الجنسية في البلاد التي تحكم بالقوانين الوضعية، فالإخوة هنا يخوضون فيها بشكل ملفت للنظر.

يرى البعض أنها مبايعة للوطن، وانتماء للحكومة الكافرة، ورضا بما فعله سايكس وبيكو ببلاد المسلمين، ويعترف بحدودها، وهي تدل على الولاء والبراء، وقد قال الله جل في علاه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ المائدة: ٥١.

بينما الطرف الآخر يراها أداة إحصائية، تحدد عدد السكان المنتمين لرقعة أرضية محددة، ولا تعني الانتماء للحكومة ولكن الانتماء للأرض التي ولد فيها الإنسان، وقد عرف من علماء السلف من يُقال عنهم العراقي والشامي والمصري والأندلسي، ونجد في كتب الحديث ما يعرف بمسند الشاميين والحجازيين.

ثم طرح هؤلاء سؤالًا، إن كانت كفرًا وشركًا فكيف يجوز للمهاجر من بلاد نائية بعيدة عن بلاد الإسلام كأمريكا مثلا، لا يجوز له الخروج إلا بها فكيف له أن يحملها، فإن قلتم بجوازها في مثل هذه الحالة، فهل يُضطر لفعل كفر؟ وإن قلتم بعدم جوازها فكيف سيهاجر؟ أم سيبقى في بلاد الكفر على أنه مستضعف؟ وقد عجز الشرعيون في حسم هذا الأمر، فأفتونا أيها الأكارم يؤتكم الله أجرا حسنا وجزاكم الله خيرا...

ولاية غرب إفريقية،

يوم الأربعاء، ١٨\شعبان\١٤٣٧هـ".

الجواب:

وبالله التوفيق، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به جلّ في علاه: الذي نعتقده أنه لا تلازم بين إخراج هذه البطاقات وغيرها من الأوراق الثبوتية المنتشرة في البلدان التي تغلب عليها الطواغيت وبين البيعة للطاغوت والرضا به والنصرة له والولاء له.

فإن الطواغيت لا يُطالبون مَن تحت سلطانهم من العامة المستضعفين بالقسم على نصرتهم والولاء لهم مقابل الحصول على هذه البطاقات والأوراق، وإنما يُطلب هذا ممن ليس تحت سلطانهم مقابل الحصول على "جنسية" البلد، كالنيجيري الذي "يتجنّس" بـ "الجنسية" الأمريكية، فيُطالب بأن يقسم على البراءة من كل دولة وكيان سوى الولايات المتحدة وأن يناصر الدستور والقانون الأمريكي على كل عدو داخلي وخارجي وأن يكون مخلصا ومواليا لأمريكا ودستورها وأن يحمل السلاح متى ما طُلب منه ذلك دفاعا عن الولايات المتحدّة إلخ... فلا شك في كفر هذا القسم وأمثاله.

قال جلّ وعلا: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الحشر: ١١.

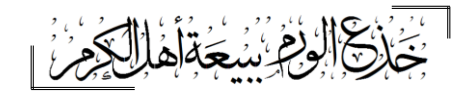
فعقد الله -جل وعلا- الأُخوّة بين منافقي المدينة وكفرة أهل الكتاب بوعد هؤلاء المنافقين بنصرة هؤلاء الكفرة على النبي ﷺ رغم مخالفة المنافقين لوعودهم.

أما النيجيري الذي يخرج البطاقة الشخصية النيجيرية حتى لا تسجنه السلطات التنفيذية، فلا نعلم سببا لتكفيره إلا بلوازم باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، مخالفة للواقع... وهل يتعهد صاحب البطاقة بالكفر للحصول عليها كما يفعل "المتجنّس بجنسية" جديدة؟ هذا لا نعلمه في بلد من البلاد... ويُلزم المكفِّر بها أن يكفّر من انتسب إلى بلدان الكافرين وأقوامهم من القرون المفضلة، كمن انتسب إلى فارس والروم والحبشة وغيرها، والعياذ بالله.

نرجو أن يكون اتضح الفرق بين "التجنّس بجنسية" جديدة وبين إخراج البطاقات والأوراق التي تُستعمل لإثبات شخصية المرء في الحضر والسفر.

أما بالنسبة للسؤال الأخير، فهو مبني على ما سبق، فنقول: لا يُباح قول الكفر وفعله إلا للمكره، قال جلّ وعلا: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ النحل: ١٠٦، وهذا إجماع لا مخالف له، والسفر إلى دار الإسلام ليس من الإكراه في شيء، لكن الذي نعلمه أن إخراج البطاقة الشخصية وجواز السفر لا يتضمن كفرا صريحا، بخلاف عملية "التجنّس"، والمهاجر المنتسب إلى بلد ما لا يحتاج إلى "التجنّس" كي يُخرج جوازًا، فإن الطواغيت يعطون الجوازات للعامة المستضعفين تحت سلطانهم دون إلزامهم بعملية "التجنّس"، وإنما يلزمون "الأجنبي" من الخارج بذلك.

هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم على الرسول النبيء الصادق الأمين، وعلى أزواجه وذريته الطيبين الطاهرين.



نعم، والله أعلم؛ لأن فوق كل ذي علم عليم، ولكنه بفضل الله وتوفيقه كان شافيا للصدور، ومدحض لشبه أصحاب الفجور، فهي جُذَيلها المُحكَّك، وعُذَيقها المرَجَّب، ولا أخال أحدا يقول لي لم أفهم هذه القضية الآن، ولا يخوض فيها بعد هذا الجواب الذي سد كل باب للجدال إلا الخرقاء ذات نيقة، فلله الحمد في الأولى والآخرة.



الفصل الرابع : التكفير المسلسل

للشيكوي في التكفير التسلسلي عكازتين قويتين يهز بها الناس، ويحكم بها عليهم زرافات ووحدانا بالكفر، وهي **العذر بالجهل**، وقاعدة "**من لم يكفر الكافر أو شك في كفره كفر**"، وسوف نتناول الكلام حول كلي المسألتين في مبحثين، وأوردناهما فيفصل واحد لتداخل أحكامهما، ويتشابه على مرضى القلوب والجهلة، فنناقشهما مستعينين بالله، طالبين منه الهداية والسداد.

* * *

المبحث الأول

العذر بالجهل

هذه مسألة خاض فيها الناس وشاحُوا وتشاحنوا فيها فمن مُفْرط فيها غالٍ يقول بعدم العذر في أبواب الكفر مطلقًا، ومن مفرّط جاف يقول بالعذر مطلقا، وكلاهما مجازفة بغير حق، فالحق وسط بينهما.

وهي أهم مطرقة للشيكوي في التكفير، فلا عذر لأحد فيما سماه كفرًا من الإقامة في دار الحرب والخائف وغيرهما، وعاذرهم أو الشاك في كفرهم كافر مطلقًا بدون تفصيل،إذ أنه عذر من لا عذر في حقه، فلا يعذر هو أيضًا وهكذا إلى ما لا نهاية له، ولم يسلم منها أحد وصنف كتابًا عليه، يسقيها من أنفاس الغلاة ممن ألفوا كتبًا مُؤيدًا لبدعهم.

عرض أقواله:

يقول الشيكوي "لا عذر بالجهل في مرتكب الكفر سواء كان جاهلًا أو متأولًا أو مُخطأً".

وقال لنا يومًا –مشافهة- حينما نوينا الهجرة والخروج من سلطانه إلى ولاية أخرى: "أنا أدري ما الذي يديركما، لا أحد يخالفني إلا وكان العذر بالجهل على رأس ما يخالفني فيها"، وهي والله كذلك.

الرد عليه:

وللرد عليه حول هذه المسألة: نعرّف الجملة أولًا ثم نشرع في اجتذاب المسألة ناقلين كلام أهل العلم الأفذاذ:

فالجهل: هو تصور الشيء على خلاف ما هو عليه، أو عدم العلم به مسبقا.

والعذر: رفع اللوم عن الشخص الذي أتى بمنكر يستحق اللوم والعيب عليه؛ لوجود حجة مانعة.

ومصطلح"العذر بالجهل" لا يعرف أصلًا بهذا الإسم عند السلف، وإنما يسمونه "بالحجة الرسالية"؛ فمن قامت عليه الحجة الرسالية من مرتكبي الكفر كفّروه، ومن لا فلا، وأما المشرك فيطلقون عليه اسم الشرك جاهلا كان أو عالما، وبالجملة فإن للمسألة ثلاث أحوال: ما يعذر فيه، وما لا يعذر بأي حال، وما يعذر بحال دون آخر، ويمكننا تلخيصها كالآتي:

الأولى: أصل الدين: وهو ما ينقض المعنى الإجمالي للشهادتين:

أي ما تقوم الحجة فيه بمجرّد فهم الشهادتَين، وذلك كمن نطق بها ثم أشرك بالله في العبادة كمن شرّع قانونًا يرجع إليه العباد، أو انتخب من ينُوبه في التشريع، فإن هذا لا يعذر بأي حال من الأحوال إلا بإكراه؛ إذ أنه نقض شهادته بأن لا أحد يستحق أن يُصرف له عبادة من العبادات إلا الله وحده، وذلك بإعطائه لنفسه أو لغيره نصيبًا من ملك الله ﷻ، وصلاحية تدبير العباد.

ولأن الحجة مقامة بمجرد فهم الشهادتين، ومرتكب الشرك بعد النطق بها أحد رجلين، إما أنه فهم معنى الشهادتين وفعل ما يناقضهما، فهو مرتد حقيقي، أو أنه لم يفهم ذلك في معنى الشهادتين، فهذا لم يحقق شرط الإسلام أصالة وهو العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، فهو مرتد حكمي؛ ونحن إذ نحكم عليهم بالردة فلأنهم نطقوا بالشهادتين وانتسبوا إلى الإسلام، وذكرنا هذا في مبحث سابق.

فهؤلاء لا يعذرون بأي حال، سواء كانوا جهالًا أو غير ذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ الآية[1].

فسمى المستجير في الآية مشركًا قبل أن يسمع كلام الله وتقوم عليه الحجة، لأنه يعدل عن ربه إلى شركاء وأصنام سماها له آباؤه، وأثبت جهلهم في الآية بقوله: ذلك بأنهم قوم لا يعلمون.

وقال الشوكاني رحمه الله: "ومن وقع في الشرك جاهلًا لم يعذر؛ لأن الحجة قامت على جميع الخلق بمبعث محمد ﷺ، فمن جهل فقد أُتي من قِبل نفسه؛ بسبب الإعراض عن الكتاب والسنة، وإلا ففيهما البيان الواضح". اهـ

وهذا الصنف هو الذي يعني شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: **"واسم الشرك تثبت قبل الرسالة"**.

ونؤكد على أنه لا عذر لأي أحد بالجهل في هذه المسألة، التي هي من أصل دين الرسل؛ لأنها من العلوم الضرورية المستقرة في جميع الفطر والعقول، وبهذا نعلم أن من انتقض أصل دينه فهو مشرك، ولكن عذابه في الدنيا والآخرة متوقف على بلوغ الحجة الرسالية إليه.

الثانية: المسائل الظاهرة، أي المسائل المعلومة من الدين بالضرورة، وهي الواجبات والمحرمات الظاهرة المتواترة، كالعلم بأن الله على كل شيء قدير، وأن القرآن كلام الله، ووجوب التحاكم إلى شرع الله وحرمة الزنى وحرمة القتل والسرقة إلى غير ذلك من المسائل الظاهرة التي كُلّف بها العباد ولا يجوز فيها التنازع.

كمن اعتقد أن ليس عليه صلاة مثلًا، فمن تركها وهو ممن نشأ بين المسلمين ويَعلم أن المسلمين يفعلونه على الدوام، ويُشيّدون المساجد لأجله، فهذا كافر ولا يُعتبر بادعائه الجهل، بل هو في الحقيقة معرض عن العلم، والإعراض بحد ذاته نوع من أنواع الكفر؛ إذ أن دعوى الجهل لا يُعتبر عند الإعراض عن معرفة الحقّ والعمل به

---

(١) سورة التوبة [٦].

مع القدرة عليه، مثل: أنْ يبلغَه أنَّ عمله هذا كفرٌ فلا يتثبَّت، أو يرى المسلمون من أهل بلده مجمعون على فعل شيء فلا يستفسر.

فهذه المسألة وأشباهها–مما هو معلوم من الدين بالضرورة- لا يعذر فيها أحد بالجهل إلا من كان حديث عهد بالإسلام أو من نشأ ببادية بعيدة عن حاضرة أهل العلم؛ فلم يعلم أنها من أهم الواجبات عند المسلمين، ولم يعلم حكم الله فيها.

وفي هؤلاء يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "لكن من الناس من يكون جاهلًا ببعض هذه الأحكام جهلا يُعذر به، فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ ، ولهذا لو أسلم رجل، ولم يعلم أن الصلاة واجبةعليه، أو لم يعلم أن الخمر حرام؛ لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا، وتحريم هذا، بل ولم يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية".اهـ[1].

ويقول ابن حزم رحمه الله: "ولا خلاف في أن امرءً لو أسلم- ولم يعلم شرائع الإسلام- فاعتقد أن الخمر حلال، وأن ليس على الإنسان صلاة، وهو لم يبلغه حكم الله تعالى؛ لم يكن كافرًا بلا خلاف يُعتدّ به، حتى إذا قامت عليه الحجة فتمادى حينئذ بإجماع الأمة فهو كافر".اهـ[2].

وهذا الصنف حكمه كحكم من أمر أبناءه أن إذا أنا مت فاسحقوني واذروا نصفي في البر ونصفي الآخر في البحر لعلي أضل عن الله، كما جاء في الحديث الذي اتفق البخاري ومسلم في إخراجه.

فظنّه أن الله لن يقدر عليه إذا سُحق وذُرّي كفرٌ بإجماع الأمة، فلما غفر الله له علمنا أن الله يعذر من هم في شأنهم الجهل لبعدهم عن العلماء وحديث عهدهم بالإسلام، ولن يحكم بكفرهم عنده لأنه لا يغفر الشرك والكفر إلا بتوبة نصوح، وهذا لم يَتُب.

قال شيخ الإسلام: "وكنت دائمًا أذكر الحديث الذي في الصحيحين.... فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرّي، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلًا لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك". اهـ[3].

الثالثة: المسائل الخفية، وهي المسائل التي قد تخفى دليلها، كمسائل في الوعد والوعيد، وكبعض مسائل الأسماء والصفات، كالنزول والرؤية واليدين لله، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا خاصة الناس دون عامتهم.

---

(١) مجموع الفتاوى: (٤٠٦/١١).

(٢) المحلى لابن حزم، (٢٠٦/١١).

(٣) مجموع الفتاوى الباز المعدلة (٢٣١/٣).

وهذا يحدث حتى مع الصحابة حين يشكون في أشياء مثل رؤية النبي لله، أو يسمعون كلامًا فلا يعتقدون أنه من القرآن، كما فعل عمر رضي الله عنه، ومعلوم أن من شك في شيء من القرآن كَفَر؛ ولكن هذا عُذِر لجفاء المسألة عليه،وغير ذلك مما يخفى عليهم فيسألوا رسول الله ﷺ.

فهذا يشترط في تكفير صاحبه إزالةُ الشبهة عنه وإقامة الحجة عليه، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [1]: "وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين - وإن أخطأ وغلط- حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة".اهـ

وقال في المجتهد الذي يخطئ في اجتهاده: "وليس كل من خالف في شيء من هذا الإعتقاد يكون هالكًا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة".

---

(١) في "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٢٥٠).

تهكّم:

أيا من تنكر الخطأ في العذر كم مرة دهست على القرآن، أو ركلته برجلك، أو سقط في يدك على الأرض وأنت لا تشعر؟، وكم مرة قلت كلمة كفر حالة الغضب أو الفرح؟، لو سألتني لأحصيتها لك، ولكنك ألد الخصام، ولن ترضى بذلك، لكن ما تقول في الذي قال لمَّا وجد راحلته اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك، فقال رسول الله:**"(أخطأ من شدَّة الفرح)"**. والحديث متواتر رواه مسلم.

قال ابن القيم في "أعلام الموقعين[1]": "وقد تقدم أن الذي قال لما وجد راحلته اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح لم يكفر بذلك وإن أتى بصريح الكفر لكونه لم يُرِده". اهـ

* * *

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين، (٦٣/٣).

المبحث الثاني

قاعدة "من لم يكفر الكافر فهو كافر"

إن هذه القاعدة هي المطرقة الثانية التي يضرب بها، وكان يمتطي هذه القاعدة بدون مراعاة لضوابطها وأحكامها، ويحقق بها هوى في نفسه، فضل وأضل، فاستحق العار والذل، بمخالفته أهل العلم والعمل، واستخفافه بعقول أهل الجهل، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

عرض أقواله:

ورد في بيان له يقول فيها ما خلاصته: "فمن لم يكفرهم أو صحح مذهبهم أو شك في كفرهم كفر، فما دام الشاك كافرًا، فإن من لم يكفره أو شك في كفره كافر، وكذلك من لم يكفره حتى وإن كان عددُهم مثل شعر المعزى".

وقال في موضع آخر "الكفر؛ كل من فعله فهو كافر، لا يُعذر ولو للحظة، فإن فكّرت في أن اللحظة طويلة فأنت كافر، وإن كنت ترى أنني شدّدت في هذا؛ فأنت كافر، ومن شك في كفرك فهو كافر، فهو وهو وهو وهو إلى....كلهم كفّار، هذا ما أدين الله به، لا أحد على وجه الأرض أتبعه على غير هذا، وعليه أرجوا أن أختم أنفاسي، وهذا هو عقيدة النبي محمد ﷺ "[١].

فوا عجبا !!!، إن هذا والله مخالف كل الاختلاف لما بُنيت عليه الدعوة، فقد قال الشيخ الوالد –تقبله الله- في بيان له: "الحاكم الذي يحكم بهذه القوانين ليس كفره كفر دون كفر؛ بل هو كافر بمعنى الكلمة، ومن عمل تحتهاكافر، هذا هو فَهمنا، إن كان ثمة شيء يمنعنا من تعيين أحد؛ فهو ضوابط التكفير، هذا ما كنا عليه مذ بداية الدعوة، ومن المعلوم أنه لا أحد يتورّع عن تكفير المعيّن جزافا أكثر مني، الطلاب يتشددون في بعض الأحيان، فنستدعيهم ونعلّمهم على أنه لا يُعين حتى يطبق فيه كذا وكذا، وكان أناسٌ كثيرون أتوا إلينا يرومون الالتحاق بي، فيُناقشونني على التكفير، فأقول لهم لست أوافقكم الرأي في هذا فينفضّون، وكذلك أهل الغلو من " جماعة دار الإسلام" أتوا إلي وناقشوني وذهبت إليهم وناقشتهم في التكفير، فلم نتفق معهم في تكفير عموم الناس ولا التعيين جزافا، بل إنهم في النهاية كفّروني". اهـ[٢].

---

(١) دروسه في "ستة مواضع للإمام ابن عبد الوهاب"، من الدقيقة (١٩:١٨،|٢٠:٠٨) دقيقة.
(٢) "نصيحة محمد يوسف عن الدعوة -الملف الثاني-"، من الدقيقة (٢٩:٥٨|٣٠:٥٠).

الرد عليهم:

فللرد وتفنيد الشبهة التي تلبست على العامة، حول هذه المسألة؛ نَغوص في بحر أهل العلم العاملين، نقتبس ونستضيء بما حباهم الله من الهداية وأنارلنا بهم السبيل، ولا سيما شيخنا أبو مالك التميمي -تقبله الله-، فإنا من روضته منهلين، وننغمس ونبحر في جهوده التي بذلها في تأصيل هذه المسألة، ونخرج بنفيس أنفاسه في شرح القاعدة، ونجري بعض التصرفات فيما نقلناه لتكون ملائمة لكتابنا.

فنقول وبالله التوفيق: هذه المسألة حساسة جدًّا ونقرِّرها كما قررها أهل العلم، فقد ذكر جماعة من أهل العلم سلفًا وخلفًا حكم من لم يكفر الكافر.

قال القاضي عياض: "نُكفّر من لم يُكفّر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف في كفرهم، أو شكّ، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك". اهـ[1].

وقال النووي: "من لم يكفر من دان بغير الإسلام كالنصارى، أو شك في تكفيرهم، أو صحح مذهبهم، فهو كافر". اهـ[2].

وقال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب: "من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر إجماعًا". اهـ[3]

غير أننا نُنوّه إلى أن هذه المسألة ليست على إطلاقها، وإنما لها مَناط وعلة يُكفّر بوجودها ويعذر بعدمها؛ إذ الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، والعلة هو الجحود والتكذيب، ليس من جهة انتقاض أصل الدين، بل هي من واجبات الدين التي علم بالضرورة، فالمتوقف عمن كفره الله ورسوله كافر لجحده ومعارضته الله ورسوله، وتكذيبه إياهم، وكفره ليس كمن نقض أصل الدين، وحكم الناس في هذه القاعدة تنقسم إلى أقسام عدة كما قسّمها أهل العلم،

القسم الأول: أناس جاء نص صريح بتكفيرهم وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين، طوائف وأفراد:

فالأفراد كفرعون وهامان وقارون وإبليس وأبي جهل وأبي لهب، وغيرهم ممن جاء النص بتكفيرهم أعيانا.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢٨٦).
(٢) روضة الطالبين (١٠/٧٠).
(٣) الدرر السنية (١٠/٩١).

والطوائف كاليهود والنصارى والمجوس والملحدين وعبدة الأصنام، فمن تَوقّف في تكفير هؤلاء بأعيانهم فهو كافر، ، لرده وتكذيبه لنصوص الشريعة، ولا يُعذر بالجهل في ذلك كل من بلغته الحجة الرسالية، ويستدل على كفر هذا بكل آية تدل على كفر من جحد وأعرض عن حكم الله.

قال ابن الوزير الصنعاني: "ولا شك أن من شك في كفر عابد الأصنام وجب تكفيره، ومن لم يكفره، ولا علة لذلك إلا أن كفره معلوم من الدين بالضرورة". اهـ [1]

القسم الثاني: أقوال وأفعال جاء النص بتكفير فاعلها، كالذبح والإستغاثة بغير الله في أمر لا يقدره إلا الله، وكذلك التحاكم والحكم بغير ما أنزل الله.

هذه الأفعال جاء النص صراحة يحكم بكفر مرتكبها، ومقترفوا هذا النوع من الكفر لا بد أن يكونوا منتسبين إلى الإسلام، وبناء على هذا يُعد الكفر عليهم طارئًا، وحكم من توقف في تكفير هؤلاء ينقسم إلى ثلاثة:-

- أن يتوقف عن تكفيرهم لورود مانع معتبر شرعًا، كمن أُكره على تلفّظ أو فِعْل ما هو كفر، فهذا خارج من القاعدة، بل ينعكس الحكمُ على من كفّره.
- أن يتوقف عن تكفيرهم لأنه لا يُقرّ أصلًا أن ما اقترفوه كفرا، كأن يقول: الذبح لغير الله جائز، أو التحاكم إلى غير ما أنزل الله جائز!، فكفر هذا ليس لأنه لم يُكفّر الكافر فقط، بل يُضاف إلى ذلك جحده النص الصريح على الفعل، ورده حكم الله على القارف.
- أن يمتنع عن تكفير مقترفي الكفر، ممن ينتسبون إلى الإسلام، لوجود مانع عنده سواء كان معتبر شرعا أو غير معتبر، وهذه هي قطب الرحى التي تدور حولها مسائل هذه القاعدة.

فهذا يُقرّ بأن الفعل كفر، وكما بينا أن مناط التكفير في هذه القاعدة الجحود ورد حكم الله، فهذا العاذر لم يرُدّ حكم الله ولكنه ظهر له مانع يمنعه من تكفير فاعل ذلك الكفر، فلا يلحقه الحكم ولا يكفر حتى ينظر في مانعه.

فإن كان المانع معتبرًا شرعًا كالجهل بالمسائل الظاهرة، في من هو حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن حاضرة أهل العلم، فهذا العاذر لا يلحقه الحكم ولا يكفر لأن الحكم ممتنع أصلًا عن الإنطباق على المحكوم كما قررنا ذلك في مبحث العذر بالجهل.

وأما إن كان غير معتبر شرعًا، أقيم عليه الحجة، بتحقق انطباق حكم الله على الفاعل، فإن أصر وعاند بعد ذلك ألحق بهذه القاعدة وكُفّر لأنه لم يكفر الكافر بعد إقامة الحجة.

وفي هذا يقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ لما سئل عمن يخصص بعض المواضع كبعض الأحجار التي يعتقدون أن من وقف عليها نهار التاسع من ذي الحجة، فأجره كمن وقف على العرفة إلى آخر السؤال.

---

(١) الروض الباسم (٢/٥٠٩)

فأجاب رحمه الله: "إن هذه المسألة كالتي قبلها، لأن من خصص بعض المواضع بعبادة، أو اعتقد أن من وقف عندها الحج، كفره لا يستريب فيه من شم رائحة الإسلام، ومن شك في كفره فلا بد من إقامة الحجة عليه، وبيان أن هذا كفر وشرك، وأن اتخاذ هذه الأحجار مضاهاة لشعائر الله التي جعل الله الوقوف بها عبادة لله، فإذا أقيمت الحجة عليه فأصرّ فلا شك في كفره.

فنفهم من عموم ما ذكرنا أن هناك حال ظاهر يتضح فيه حكم مقارف الكفر، بل كفرهم معلوم من الدين بالضرورة، كاليهود والنصارى، فمن شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر، وهناك مَن ظهورُ كفرِهم دون ذلك، فيُتصور خفاؤها.

لذلك فإن تكفير الكافر لا بد أن يراعى فيه الظهور والحفاء في الفعل والفاعل، وعلى ذلك فليس كل من لم يكفر الكافر يكفر مطلقا، بل هذا بحسب نوع المسألة.

وبالجملة فإن للمتوقفين في تكفير المشركين مراتب يؤثر فيها قوة الدليل الشرعي، وظهور الكفر أو الشرك أو خفاؤها بِغضّ النظر عن شدته...

قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل الخرج وغيرهم، مشهورون عند الخاص والعام بذلك، وأنهم يترشّحون له ويأمرون به الناس: كلهم كفار مرتدون عن الإسلام، ومن جادل عنهم أو أنكر على من كفّرهم، أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلا فلا يخرجهم إلى الكفر: فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لا يُقبل خطه ولا شهادته، ولا يُصلى خلفه". اهـ [(١)]

فتأمل كلام هذا الإمام؛ كيف أنه جعل للمتوقف في هؤلاء الطواغيت أحوالا أقلها الفسق، وهذا يؤكد على أن للمتوقفين في المشركين أحوالا ومراتب متفاوتة.

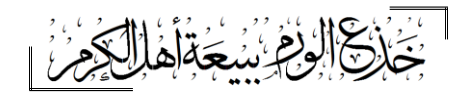
وننبه إلى أن كل ما ذكرناه من أحكام فهو في العاذر الأول: الذي يتوقف في تكفير الكافر، وفي العذر الثاني: الذي يعذر المتوقف في تكفير الكافر، أما العاذر الثالث، الذي لم يكفر من توقف في تكفير من لم يكفر الكافر، فإنه لا يلحق الكفر به بإجماع أهل السنة، بل يفسقونه، والمعتزلة هم أول من قال بخلاف ذلك.

قال أبو المظفر الإسفراييني، حين حكى عن المعتزلة المردارية، أنهم يقولون بكفر من قال برؤية الله، ومن شك في كفره فهو كافر ومن شك في كفر من شك في كفره فهو كافر، لا إلى غاية، قال: "وكل من أطلق مثل هذه المقالة فهو مخذول لا شك في كفره".

وقال الإمام أبو الحسن الملطي، -متحدثا عن هؤلاء المعتزلة ما ملخصه: "معتزلة بغداد كانت تكفر من لم يؤمن بأصولهم الضالة ويكفرون من شك في كفره، ثم تسلسوا بعد هذا فكفروا الشاك فى الشاك والشاك في الشاك إلى مالا نهاية،

---

(١) الدرر السنية (٥٢/١٠)

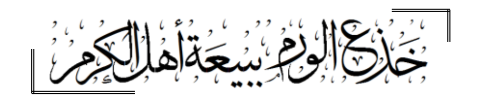


أما معتزلة البصرة فكانت تكفر من لم يؤمن بالأصول الضالة المخترعة لهم، ومن شك فى كفره فقط، لكنها لم تتسلسل إلى تكفير الشاك فى الشاك والشاك في الشاك.

هاهنا قال الإمام الملطى "إن قول معتزلة البصرة أحسن من قول معتزلة بغداد"،ومعنى استحسانه لهم أن معتزلة البصرة كانوا أقل عصبية من معتزلة بغداد، فمعتزلة بغداد المردارية، من غلوهم وتعصبهم كفروا معتزلة البصرة لمخالفتهم بعض أصولهم واختلافهم، فضلاً عن تكفير غيرهم من أهل السنة والجماعة.

فظهر بهذا أن هؤلاء الشيكويين ليس لهم سلف صالح، نقلوا عنه أصولهم، نعوذ بالله من الخذلان، واتباعِ الهوى والشيطان.







الباب الثالث

الآثار الناجمة ونهايتها

الفصل الأول الثمار السيئة...

تمت بحمد الله ﷻ كشف أهم وأخطر معتقداتهم مع التحري والتدقيق قدر الإمكان، والموضوع جدير بالعناية والاهتمام؛ لما له من الأهمية الكبيرة؛ ولخطورته على من قال فيه بغير علم.

أما النتائج والثمرات التي جنتها معتقداتهم الخبيثة فهي كثيرة، وفي هذا الباب نحاول فضح محصولها من بشاعة ما قام بها الشيكوي وسوء أخلاقه وفجوره إذا خصم، ثم نختمها بسرد قصة البيعة واعتزاله والبراءة منه فيما بعد، وذلك في فصول نقسمها ونتحدث عنها بحول الله وقدرته، وليس فيها –بإذن الله - إلا ما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا نذكر إلا ما كان ذكره منوط بالمصلحة العامة، ثم نُعَرّي ونفضح شر إمام لمأموميه.

إن سيطرة الشيكوي على مساحات شاسعة من شمال شرقي نيجيريا ما هي إلا اختبار من الله له؛ ليرى عمله وليكشف لعباده خبيئته، ويفضحه على رؤوس الأشهاد.

وما إن توَلّى في الأرض حتى سعى فيها بالفساد وأهلك الحرث والنسل، وكان حقيقا أن يتلى فيه قوله جل جلاله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾، ونخشى له هذه العاقبة إن لم يتب عن غيه ويؤوب إلى رشده.

ووالله هذا هو دأب الخوارج، من لدن ذي الثديين إلى يومنا هذا، ما إن يفتح الله لهم بلداويتسلطوا على رقاب عباده، إلا أجهدوا أنفسهم في قتل أهل السنة وغيرهم ممن يرونهم كفارًا، و سعوا في إبادة الخلق وتدمير البسيطة ما أمكنهم ذلك.

قال الإمام وهب بن منبه ناصحًا ذا خولان: "ألا ترى يا ذا خولان إني قد أدركت صدر الإسلام فوالله ما كانت للخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالاتهم، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج، ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض وقطعت السبل وقطع الحج عن بيت الله الحرام". وقال أيضًا: "غير أن الله بحِكَمه وعلمه ورحمته نظر لهذه الأمة فأحسن النظر لهم، فجمعهم وألّف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج؛ فحقن الله به دماءهم وستر به عوراتهم وعورات ذراريهم،وجمع به فرقتهم، وأمّن به سبلهم، وقاتل به عن بيضة المسلمين عدوهم، وأقام به حدودهم، وأنصف به مظلومهم، وجاهد به ظالمهم؛ رحمة من الله رحمهم بها، قال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ حتى بلغ ﴿ تَهْتَدُونَ ﴾ وقال الله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ إلى ﴿ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ فأين هم من هذه الآية فلو كانوا مؤمنين نُصروا". انتهى كلامه

وهذا حقيقة ما عايشناه في هذه البلاد؛ فالشيكوي قد فتح الله عليه البلاد بفضله تعالى ثم بصدق القادة الذين معه، وما إن أسفر عن ما في ضميره صراحة، وقتل القادة جهرة، حتى قصم الله ظهره وكسر شوكته، وقطع دابره، وها هو اليوم قد يئس من الحياة وظهرت بوادر الهزيمة في بياناته.

* * *

المبحث الأول

استحلال دماء العامة

من ثمارهم التي جنوها بشبهاتهم تلك وبدعهم، أن تَوصَّلوا إلى تكفير المسلمين المقيمين في ديار الكفر بالعموم، وكفروا المسلمين بالتسلسل، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وأعراضهم، سواء ظهر فيهم الكفر أم لا، بل يكفي بقاءهم في دار الكفر حجة لتكفيرهم بلا استثناء.

عرض أقوالهم:

قال الشيكوي في تسجيل له: ”أنا عندي الآن الدنيا صنفان، إما أن يكون الرجل معنا [في جماعتنا]، وإما أن أراه جانبًا عنا فأقتله، هذا فقط هو عملي الآن“.

وقال: ”إن خرجتم للقتال يا إخواني، فبارزوا القرية وامشوا هكذا، كل من لقيتموه أمامكم سوى النساء والأولاد والشيوخ، إن كان بالغًا فاقتلوه، إلا من تثبتم وتيقنتم بأخوته، وإن لم تعرفوه فليعلم أنه هو من جنى على نفسه فاقتلوه، اقتلوا ودمروا البلاد واحرقوها“.

وقال في "الدفتر الأسود": ”يا إخوة! إذا أخذتم سلاحكم فاقتلوا كل من رأيتموه، ولا تتركوا أحدًا إلا النساء والشيوخ، كل من وجدتموه فاقتلوه بدون تنازع أو جدال، أنا الذي أمرتكم، يوم القيامة خذني يا الله بذلك“[1].

وقال: ”قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢﴾ هود: ٨٢، بلدة كاملة !! قلعها الله ورفعها إلى السماء فقلبها وأكفأها، ألم يكن فيها أولاد ؟، ألا يوجد فيها امرأة حامل، ألا يوجد فيها طفل صغير ؟، سل الله لم فعل ذلك)“.

الرد عليهم:

أولا: - نؤكد أن دين الإسلام لا يرضى التذبذب ولا أنصاف الحلول، ولا يقبل التنازلات، فإما مؤمن وإما كافر، ولا شيء بينهما قال جل جلاله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾[2]. وقال ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾.

---

(١) في إصدار إقتحام القاعدة العسكرية غِيوَا، الذي أسموه (Black Book) "الدفتر الأسود"، في الدقيقة (٠٠:١٥:٢٠|٠٠:١٥:٣٥) تمامًا.

(٢) [سورة الإنسان ٣].

فلا إسلام لمن يوالي أعداء الله ويتودد إليهم، ولا إسلام لمن يفرح بانتصار أعداء الدين على أهله، هذا ما نعتقده في دين الله وهذا من أصل الولاء والبراء، فإما مع المؤمنين ولاءً ونصرةً؛ وإما مع الكفار، ولا يغْل في الدين أحد أو يتنازل قيد أنملة عنه تزلفا ومداهنة للكفار، إلا وقع في ضلال مبين، والإسلام منه بريء كائنًا من كان.

ولا يلزم من صحة إسلام المرء؛ أن ينماز إلى ديار الإسلام، فالمؤمن مؤمن في أي أرض وتحت كل سماء كما قررنا سابقا، والكافر كافر وإن كان في دار الإسلام، أما ما يقصده هؤلاء فهو استهداف واستحلال دماء من لم يكن معهم في دولتهم التي لا تتجاوز قطرها مائة كيلومترات طولًا وعرضًا، ويُجاوره فيها ثكنات وقواعد عسكرية، فمن وجدوه خارج مناطق سيطرتهم فهو في مرمى أسلحتهم، وسلبوا منه الإسلام لمجرد ذلك.

ولا أدري كيف تحمي كل الأمة التي تريدها أن تدخل معك في غابتك عنوة، وأنت أنت !!، لا تحمي حتى عيال جندك وذراريهم فضلًا عن العوام الذين كانوا معك، بل ولا تعطي جندك ما يسعهم من الذخائر لدفع الصيال إلا إذا تحتمت عليك وأيقنت أن الأعداء بعتبتك ويصل إليك رماياتهم، فضلًا عن إعطاء سائلهم ما يسُدُّ رمقه، وتنص على ذلك بحجج واهية يعرف مدى ضعفها الصبيان والعجائز!!.

ثانيا:- إن الله ﷻ هو الذي شرع الجهاد في سبيله، وأحل لنا دماء أبناء من أسجد له الملائكة؛ لما عاندوا واتبعوا سبيل من أزل أبويهم وأغواهما، فلا بد من الحذر في دماء عبيده، فإن فيهم من زوال الدنيا أهون عند الله من إراقة دمه، ومعلوم عند فقهائنا أهل السنة، أن الأصل في الدماء الحظر، فلا يهدر منها قدر محجمة إلا بحجة وبينة.

قال الحنابلة: "(إن الأصل في الدماء الحظر إلا بيقين الإباحة)"[1].

وقال الحنفية: "(الآدمي معصوم ليتمكن من حمل أعباء التكاليف وإباحة القتل عارض سمح به لدفع شره)"[2].

فيجب لضمان والحيطة من سفك الدماء المعصومة اتباع توجيهات من أباح سفك الدماء وإرشاده، قال تعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[3].

ومما أرشدنا إليه أننا إذا ضربنا في الأرض غزاة أن نتريث فيمن لقيناه وأشكل علينا أمره حتى نتثبت فيه، فما ابتعثنا الله للجهاد وأحل لنا دماء عباده إلا لنعلي كلمته ونخرج العباد من عبادة غيره إلى عبادته، لا للقتل والنهب والحرق والتشفي ابتداء.

---

(١) القواعد لابن رجب: (٣٣٨).

(٢) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق (٣/ ٢٤٥).

(٣) سورة الأنفال [٢٤].

فقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾ .[1]

قال الإمام أبو جعفر الطبري: "يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ يا أيها الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله، فيما جاءهم به من عند ربهم؛ إذا سرتم مسيرًا لله في جهاد أعدائكم ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ يقول: فتأنوا في قتل من ، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره، ولا تتقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتموه يقينا حربا لكم ولله ولرسوله. ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ ﴾ يقول: ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم، مظهرا لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم، ﴿ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ فتقتلوه ابتغاء عرض الحياة الدنيا، يقول: طلب متاع الحياة الدنيا، فإن عند الله مغانم كثيرة من رزقه وفواضل نعمه، فهي خير لكم إن أطعتم الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فأثابكم بها على طاعتكم إياه، فالتمسوا ذلك من عنده ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ ﴾ يقول: كما كان هذا الذي ألقى إليكم السلام فقلت له لست مؤمنا فقتلتموه، كذلك أنتم من قبل، يعني: من قبل إعزاز الله دينه بتباعه وأنصاره، تستخفون بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه، وأخذتم ماله بدينه من قومه أن يظهره لهم حذرًا على نفسه منهم.اهـ[2].

فمن كان همه القتل والنهب والتشفي حتى فيمن هو مظنة ولاءه وانتماءه إلى جماعته؛ فهذا غال بعيد عن سنن الإسلام خارج من حماه.

والعجيب أن الشكوي يأمر بالتثبت ثم يقول: "وإن لم تعرفوه فليعلم أنه هو من جنى على نفسه فاقتلوه" ؟. فكيف نتبين ونتحقق كما كنت ترنوا إليه ما دمت لا تقبل ظواهر الناس؟، أم تريدنا أن نشق قلبه وننظر صدق ولائه ومبايعته لك!؟، كلا والله، إنها تعمد قتل النفس التي تعصمت بلا إله إلا الله، سواء التزمت صادقة مخلصة أو لا، ما دام في غير الدار التي تحكمونها بعُنجهيّتكم !!.

هذا ولا يُعكِّر على ما قررناه هنا ما تقرر لدى الفقهاء في مسألة التترس

ثالثًا:- أما قوله: (آخذني يا الله بذلك)؛ أي حاسبني على فِعل الجند فعليَّ وِزرُها !، هذا يتضمن استهانة ببطش الله وعذابه الذي قال عنه، ﴿ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

وبيوم القيامة الذي يقول فيها الأنبياء "نفسي نفسي"، ولا يفكرون في إنقاذ أحد سوى أنفسهم، هذا إن لم يكن فيها عدم الإيمان ببطشه.

---

(١) سورة النساء [٩٤].

(٢) تفسير الطبري (٩\٧١).

وهذا أيضًا -حتى وإن كان مؤمنًا بعذاب الله- يبين لنا سوء اعتقاده في من يقتلهم، وإنما هم حلال الدم والمال، وإن الله لن يأخذه ويحاسبه على ذلك.

وهذا واضح جليًا في أفعاله حتى في من قتلهم من القادة فحكمهم عنده حكم المرتد، لا صلاة عليه ولا ترحم ولا يورث، فسبحانك هذا بهتان عظيم.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "(**إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته**)" ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ الآية[1].

رابعًا:- وقولهم "سل الله لم فعل ذلك"، أو قولهم "ليحشر على نيته"؛ قياس محض بفعل الباري القهار، ومتى صار العباد يقيسون أفعالهم بأفعال المهيمن الجبار، الذي لا معترض له في ملكه؟.

فكأنه يقول: إذا جاز للخالق أن يهلك خلقه ولا أحد ينكر فعله ويقول له لم فعلت ذلك؛ فلا يُنكرنَّ علي أحد قتلي للمسلمين والنساء والأطفال.

أليس للخالق الباري أن يبيد ما يشاء ويمحو ما شاء من عباده؟، ومتى كان يُسأل عما يفعل في خلقه، ومن ذا الذي يسأله ويحاسبه وهو القاهر فوق عباده، إذن فملكيته وقدرته ناقصة قاصرة.

فسبحان الحي الذي لا يموت، أيا هذا: إن إرادة الله الجبار القهار طليقة لا يحدها شيء، وإرادة العباد مقيدة، ورُسِمت لهم حمى ليس لهم أن يتجاوزوها، وسوف يؤاخذون بذلك الحدود والحمى ويسألون خلاف الواحد القهار، فهو يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويهلك ويخذل عدلا، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ۝١٣٣﴾.[2]

فنحن عباده ينفذ علينا مشيئته، وهو باري البرايا منشئ الخلائق، يهلك ويبيد ويقرض ما يشاء من الأمم، ولو أنه عذب أهل سماواته وأهل أرضه؛ لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم.

وأما عباده فقد نهاهم من قتل النفس التي حرمها إلا بالحق، وأمر أن يُقتصَّ من ذي الظلم للمظلوم، ولكن الله غير ذلك، فكم من الناس أماتهم وكم منهم ماتوا بالبلايا المختلفة؛ كما حدث في الصحابة في طاعون عمواس، وكم ماتوا منهم في عام الرمادة، هل تقيس على هذا وتجيز قتل الصحابة!،.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٤٠٩) ومسلم برقم (٢٥٨٣).

(٢) سورة الأنعام [١٣٣].

وما فعله الله وقدره فكلها عدل منه سبحانه، وسؤاله أو القياس على فعله سوء أدب مع الله ﷻ خالق كل شيء.

قال الإمام القرطبي عن ابن العربي –رحمهما الله: "والعباد فوقهم آمرًا يأمرهم وناهيًا ينهاهم، وربنا تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ولا يجوز أن يقاس الخلق بالخالق، ولا تحمل أفعال العباد على أفعال الإله".[١].

وهذه الفكرة الخبيثة هي عكس ما ذهب إليه المعتزلة وهم مشبهة الأفعال؛ لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه! .

فعكسوا ذلك فجعلوا ما يجوز للباري في عباده؛ يجوز للعباد في أنفسهم، على هذا بنوا أفكارهم وقاموا بجرائم تشيب لهولها الولدان، وقتلوا الضعيف قبل القوي، ولم يسلم منهم أحد، ففجروا في الأسواق والمحطات، وبِيَع وصلوات، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا.

حتى المدن التي فتحها لم تسلم منهم، كمدينة "ماداقلي"، فإنه تنعجم اللسان تمامًا عن ذكر مجزرتهم الرهيبة.

وذلك أن أهل هذه المدينة -بعد سيطرة الشيكويين عليها- كلما نُصبت راية أسقطها بعضهم، ولا يعرف من يفعله من بين أهل المدينة، ويرجفون أيضا على أن نهايتهم وشيكة، وقريبا سيأتي الطواغيت ليستولوا على البلد.

فقاموا لعلاج هذه المشكلة، فرأوا أن يفرغوا أهل المدينة بنقل من رضي التحاق بهم وقتل من رفض ذلك، فجمعوا أهل المدينة ما تيسرت جمعهم، وقالوا لهم: من يريد منكم أن يعمل للدين فليأت هنا، ومن لا يريد ذلك فليجلس، فقام بعض شبان البلدة ما يقارب ٢٥٠ والتحقوا بهم فنقلوهم طبعا إلى سنبيسا.

وأما الباقي نقلوا خلف البلدة وقتلوا وقد يبلغ عددهم ٤٠٠ إن لم يتجاوز.

والغريب أنه بعد سقوط البلاد وفقدهم السيطرة صاروا يرسلون المنتحرين يفجرون أنفسهم في من عجزوا عن حمايتهم، وهم لم يعينوا المرتدين عليهم حين أخرجوهم، فما الذي أدار فوهة سلاحهم ومنتحريهم على أولئك العزل من العوام الذين عجزوا عن دفاعهم، وفروا وتركوهم لحساب عسير مع الطواغيت !، وما نقموا منهم إلا أنهم لم يتبعوهم إلى غاباتهم.



(١) تفسير القرطبي (٧\٣١٦).

الفصل الثاني نهاية الورم...

هكذا أثمرت أفكاره ونتجت معتقداته وأفتى وأمر الجنود بها، مما سبّب نفور الناس عن الجماعة أيَّما نفور، بل وجعل كثيرًا من المخلصين يتركون الجماعة ويتفرقون شذر مذر، فأمر بقتل كل من ينكر عليه أفعاله هذه، فكان من ضحاياه الكثير من القادة والعلماء، وفي كل مرة يخرج يبرر فعلته بالتدليس ليسكت بذلك سائر الجند كما قيل: "**ابدأهم بالصُّراخ يَفِرّوا**".

هكذا لبثنا سنوات نرقب الفرج من الله، وبقينا متفرجين متحيرين، نحتقن بصمت، ونكتم الوجع، نهاب أن يكون جهدنا هباءً، ودماءنا هدرًا، وكنا نسعى في الإصلاح فيذهب جهدنا هباء، و عبثا نكرر النصيحة والموعظة الحسنة، حتى شاء الله أن تبزغ الفجر، وتتحقق وعد الصادق المصدوق وتُوهِّج بنورها على الأمة التائهة.

إنها الخلافة !!، تلك التي ضُيِّعت لقرون، قد بزغت من جديد، فتسابق الصادقون لبيعتها زُرافَاتٍ ووِحدَانًا، وشرح الله صدرنا إلى إلزام الشكوي بأي وسيلة لمبايعة الخليفة، فإن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن، وإن أبى فلنا مندوحة شرعًا لمفارقته ومبايعتها بمن معنا من الإخوة، فطلبنا من الدولة الغوث، فمدت لنا يد العون، وشاء الله أن يبايع الشيكوي بعد نقاش ومجادلة طويلة، وتيقن أننا سنبايع الدولة رغمًا عنه إن أبى هو أن يفعل، فبايع على مضض؛ إذ يخشى أن تعزله الدولة على الأقل، إن اطلعت على مايجري هناك.

وإن أردت دليلًا على أنه بايع على مضض وقلبه غير منشرح لها؛ فإليك إقراره بنفسه "والمرء مؤاخذ بإقراره"، يذكر فيها كيف طُلب منه البيعة، وكيف كان يسعى لوأدها بقتل القادة خوفًا من الإنقلاب عليه، حتى تكاتف القادة على إرغامه بالبيعة.

يقول الشيكوي في تسجيل "قتلت التاسي"[١]، بعدما قص ما حجزه عن مبايعة القاعدة، حتى قيام الدولة وإعلان الخليفة:

«ثم أتوا إليّ وحرَّضوني وقالوا قد ظهر جماعة الحق، الذي تتبع الكتاب والسنة، في العراق والشام، وهي دولة إسلامية، إضافة إلى ذلك فإن أميرها من نسل النبي ﷺ وقد قرأتُ من قبل في الأحاديث عن رسول الله أن خليفة سيظهر، فقلت لهم: رغم أني رأيت من الفتن الكثير؛ لا أترك الحق خشية الفتن، لكن تريَّثوا على رسلكم حتى يأتيني الخبر اليقين، ... لكنهم شدّدوا وألحُّوا حتى بدأ الأمر يسري بين الجنود، إن الشيخ أبى أن يبايع!، ... فعلمت حينها أن هذا الأمر إن لم أجد لها علاجًا فسوف يفتتن الناس به، فناديت جماعة وأجلستهم، وقلت لهم: ألا أكتب رسالة ولو ذات أربع صفحة، أُبيِّن فيها عقيدتنا من القرآن والسنة، نرسلها لهم كي ينظروا لأنهم علماء؛ إن كان فيها خطأ قوّمونا، وإن لم يكن فيها خطأ وقالوا عقيدتنا واحدة، ومنهجنَا واحد؛ اتبعناهم بغض النظر

---

(١) تسجيل "أنا قتلت تاسي" من الدقيقة (٢٥:٠٥|٢٤:٢٧). رغم أن فيها من التدليس وقلب للحقيقة، كما كان يفعل ذلك إثر مقتل كل قائد، -كما اسلفنا- إلا أن فيها مأربنا من إقراره على أنه قتل القادة المذكورين على شأن البيعة.

عن شخصيّتهم فنحن نتبع القرآن والسنة؛ فقالوا لي: يا شيخ إن هذا الرأي لا مثيل له، وهكذا كتبت الرسالة، وأعطيتهم.

والذين سلمت لهم الرسالة حينها هم الذين انشقوا الآن، وبعضهم هم الذين قتلتهم، ولا أخاف في تبيين هذا من أمثال علي -أبو أنيسة-، هم الذين قتلتهم كـ"مالم عمر"، هم الذين قتلتهم كمجاهد -أبو حنيفة-، هم الذين قتلتهم ككاكا الحاج، هم الذين قتلتهم كمصطفى التشادي، أصغ سمعك واستمع جيّدًا. انتهى كلامه هداه الله.

من هنا يتبين لك أن القادة الذين ذكرهم، إنما قتلهم على شأن الدولة وإليك تفصيل شهادتنا على حقيقة الأمر في قتلهم.

من القادة الذين قتلوا على أمر البيعة:

مصطفى التشادي ونائبه، لقد كان مصطفى التشادي رجلا محبوبا بين جنده، وقائدًا يحترمه كل الإخوة، والتف حوله معظم الجنود الشجعان، كان ابن حرب باسلا مقداما لا يهاب المنون، وربطه الله بقائد حاذق كاكا الحاج صاحب الحنكة والدهاء، ألف الله قلوبهما وفتح الله على يديهما ٪٨٠ من دولة الشيكوي، بفضل الله ثم بالشجاعة والحنكة، إلا أنه قتلهما غدرا وخيانة.

وذلك لما أعلنت الخلافة في أرض العراق والشام كان القائدان يشاهدان إصداراتها ويتلهفان لمبايعتها لرفع الظلم وإعادة روح الجهاد لغرب إفريقية وجذب أنظار المهاجرين إليها، ففتحوا الموضوع للشيكوي فرفض ذلك، وكان يتربص بهما ويحتال لقتلهما خوفا من أن يبايعا الخليفة ويلتفّ حولهما الجنود مؤيدين، حتى قتلهما في شهر صفر سنة ١٤٣٦هـ.

أخفى الشيكوي خبر الجريمة قرابة سنة، حتى ظن أن الجند غفلوا عن الأمر أخرج تسجيلًا وذلك إثر مقتل القائد أبو أنيسة، وقال بأنه قتل القائد مصطفى التشادي لأنه أخفى ما يقارب ست شاحنات، وبتناقضه وعدم ثباته على أمر، خرج في تسجيل آخر يناقض ما أبرمه؛ حيث نقض قوله بنقص الشاحنات "المسروقة" إلى شاحنة وزيادة.

قال متعجرفًا: ″مصطفى التشادي أنتم متواجدون حينما أُتي بما أخفاها من أموال الأمة في خندق قرابة شاحنتين ويزيد، ومعلوم أن الإسلام أمر بقتل كل من أخفى أموال العامة عن الإمام ولو قدر طلقة″،

﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤ ﴾ [1]، هكذا أعدم ذينك القائدين العظيمين الذين لم تشهد الساحة مثليهما في تدبير أمر الحرب والإهتمام بالجند، بعثرة تافهة، لم تثبت في حقهما؛ ليحفظ مصالحه ويبقى على عرشه، ثم يخرج لينمق جريمته بهذه الحجة الواهية.

هب أن الأمر كما قال أخفوا هذا العدد من السلاح، ألا تكون معي أيها القارئ -سواء الخصم والمتابع- أنه قائد يضم تحته أكثر من خمسة آلاف جندي، وخرج لغزوات كثيرة أعز من أن تحصى، فأفاء الله عليهم فيها من الأسلحة الكثيرة، وأغدق عليهم بمنه ذخيرة وفيرة، فخمّسوها وسلموا الخمس للشيكوي، ووضعوا الأخماس الأربعة عندهم كما جرت العادة هنا لتسيير الغزوات بها، بل وكما هو مقتضى الشرع والعقل، فأين إخفاء أموال الأمة هنا!.

والجدير بالذكر أن الشيكوي لم يعلم بهذه الأسلحة حتى عزل القائد مالم عمر في غرة شهر رجب بنفس السنة، وذلك بعد سقوط الدولة وعودتنا إلى الغابات، فكيف يزعم لنا أنه قتلهما على هذه الأسلحة التي لم يعلم بها إلا بعد حين من الدهر، قرابة ستة أشهر؟.

هنا يتبين للعاقل أن تحت الدخان تأجج نيران!، وأن هناك سبب غامض وخفيّ وراء ذلك لقتلهم غير ما ذكره، ولكنه أيضًا فاجأنا بالجواب على ما نتساءل حيث قرر الجناية بنفسه عليه -والمرء مؤاخذ بإقراره- في تسجيل له بعد مقتل "تاسي" يقر فيها أن كل هؤلاء -رجال سماهم فيهم مصطفى ومساعده- الذين قتلهم؛ قتلهم على أمر البيعة".

ومنهم القائد أبو أنيسة الغمبوي: وبعد قتله القائدين بعد انتهاء صلاحيتهما عنده، استبدلهما بالقائد أبي أنيسة الغمبوي، فكنا مع هذا القائد نخطط للإطاحة به أو الهروب والجهاد عند إخواننا في أي جماعة خارج البلاد.

حتى أُعلنت الخلافة وبايع الشيكوي، وبعد فقد السيطرة على المدن والقرى التي فتحها الله أكثرها على يدي القائدين مصطفى وكاكا الحاج، وعودة المجاهدين مع ذويهم إلى الغابات، كان الجوع يفتك بأبناء الشهداء والأرامل بسبب الحصار التي فرضه الطواغيت من جهة، وسطو الشيكوي وعدم مبالاته بهم من جهة أخرى، رغم وجود أموال طائلة مما غنمها المجاهدون في البلدان المفتحة.

وقال في شأن هؤلاء: "يؤذونني ويتكلمون فيّ لأن الأولاد يموتون جوعا؛ فليمت مائة ألف منهم ولا أبالي!، يا لقيط!، هل جئت لأجل الدين أو لأتكفل الأيتام وأرعى الأطفال؟"!!!. اهـ هكذا بكل وقاحة!!.

فغدا أبو أنيسة -علي الغومباوي- يهدّئ الإخوة ويبشرهم بأن الدولة لن تتركه يتمادى في غيه، طالما كنا منضوين تحت رايتها، وسوف نرفع لهم أمرنا، فوُشي به إلى الشيكوي، فأمر المدعو (آدم بيبي) باغتياله، ففطن

---

(١) سورة الأنعام [٢٤].

له أبو أنيسه واكتشف تربصه به، فقتله، فوجد الشيكوي مثلبة يبرر بها قتله علنًا، فقتله على أنه قتله مُقِيدًا لآدم بيبي، ونسج له كذبًا كثيرًا كأكله أموال الأمة، وكان قتله في رجب سنة ١٤٣٦هـ.

ومنهم أبو حنيفة ورفاقه: كان القائد أبو حنيفة حاله حال بقية الجند، متذمّرًا مما يفعله الشيكوي، فحرض صاحبه القائد مالم عمر على مغادرة غابة سنبيسا، والقتال بعيدا عن الشيكوي، وبعد تخميس الغنائم نرسل له نصيبه من بعيد.

فعلم بذلك الشيكوي وعزلهما عن منصبهما، ولكن أبا حنيفة لم ينفك عن رأيه من مفارقة الشيكوي، وجعل يقول للناس:"سنرفع أمرنا قريبًا إلى الدولة وسنخرج تحت هذا الظالم، فلنا مندوحة لذلك؛ إذ أنه لم يعد إماما يحرم علينا الخروج عليه بمبايعته خليفة المسلمين، والحمد لله على هذا، ولسنا وحدنا من يقوم بذلك فهناك أبو مصعب وأخوه". فغضب الشيكوي لذلك وأمر بقتله هو ومالم عمر والأخ أبي مريم الإعلامي والأخ الطبيب هود. في شهر ذي الحجة ١٤٣٦، أما مالم عمر فقد نجاه الله أول مرة، وأفلت من قبضتهم، وبعد مضي قرابة شهر على الحادثة خرج مستخفيًا إلى الشيكوي مظهرًا توبته له، لكنه أمر بقتله فقتل، تقبل الله جميعهم في عداد الشهداء.

أما غير هؤلاء ممن يتحرج في قتلهم من أبناء الشيخ أبي يوسف تقبله الله، والذان هما مسؤولَا الإعلام والتواصل مع الدولة، فقد عزلهما وحظرهما من التجوال ومن التواصل مع الدولة؛ لأنه تيقن -بعد رسائل وردت إليه من الدولة- أن هناك من يُطلع الدولة على مايجري ولا بد أن يكونا على رأسهم.

وبهذا يئسنا من الولاية وأردنا أن نخرج إلى ليبيا على الأقل، فمنعنا من ذلك أيضًا، فصبرنا نرقب يوما يفرج الله فيها عنا، ومر أعجف عام على الولاية، حيث دارت الدوائر لصالح الكفار، فجعلوا يصولون ويجولون على المجاهدين، والشيكوي يقتل ويُسفّه ويُشهّر، وبقي المجاهدون مطاردين مشردين في كل مرة من المعارك إلا نادرًا، وبلغ منهم الجوع والفقر كل مبلغ، حتى أكلوا أوراق الشجر، وأسر الطواغيت كثيرًا من نساء وأطفال المجاهدين، وبلغ الأمر كل مبلغ، ووقع الناس في حيص بيص، فرأينا وجوب التحرُّك حيال هذه الفتنة وإنقاذ الغرقى من المجاهدين، فقد صاروا لصوصًا وقطاع طرق، يسلبون الرعاة – حتى الذين في مناطق نفوذهم- مواشيهم ودوابهم باسم الفيء ويأتون كل محرم من المال لسد رمقهم والله المستعان.

وبعد مضي عام أو يزيد على البيعة، لم نر بدّا من أن نفعل شيئا لإنقاذ الأمة من ظلمه وبطشه، وننصر المستضعفين، ولم يبق لنا أمام هذا الظلم الغاشم إلا خيارين اثنين لا ثالث لهما:-

إما أن نسكُت عنه ، ونبقى مكتوفي الأيدي، ونتفرج على أفعاله فيطغى ويتجبر على أولياء الله، أو نقوم لنأخذ بيده ونكفه عن ظلمه.

فارتكبنا أخف الضررين، فتحركنا لنردعه عن غيه، وقمنا بالاتصال سرًّا مع قادة غيورين، منهم القائد الفذ أبوفاطمة تقبله الله -أمير منطقة الفاروق-، الذي كان هو الآخر في حنق شديد على الشيكوي، فتناقشنا وخططنا فتبايعنا وتواعدنا على رفع الظلم عن الإخوة وإعادة المظالم إلى أهلها فاعتزلنا الشيكوي، ورفعنا أمرنا إلى دار الخلافة، وبعد استقراء الأوضاع والاطلاع على أحوالنا، ومناقشة الأمر من طرفهم، عزلوا الشيكوي عن الولاية، وعيّنوا بدله الشيخ أبا مصعب البرناوي.

ثم أمرت الدولة حفظها الله كل جنود الدولة الإسلامية وحيثما كانوا في ربوع الولاية أن يسمعوا لعامل أمير المؤمنين الجديد ويطيعوا، ويسعوا لنبذ الخلافات وتوحيد صفّهم، فهبّ لهذا النداء جنود الدولة في الولاية وأذعنوا للأمر، فدخلت في سلطانه كل مناطق المجاهدين سوى غابة سنبيسا.

وهكذا أُنعش الولاية، وبدأت الحياة تسري فيها، وبدأ الجهاد يقوم على ساقيه من جديد، فتنظمت الأمور، وحقنت الدماء وردع الله الخوارج، ببأس الذين آمنوا وصدقوا مع الله نحسبهم والله حسيبهم.

وللعلم: لم تُبادئ الولاية القتال مع هؤلاء المارقين، حتى بدأوا بالإعتداء، فقد حلمت عليهم لكنهم لم يتقوا غضبة الحليم، فأجهدوا أنفسهم في السعي لإعادة المناطق التي تفلتت منهم إلى سلطانهم، ولكن بحمد لله يُدحَرون في كل مرة، ويعودون بخُفَّي حنين، ويرد عليهم جنود الخلافة الصاع صاعين، أذكر منها.

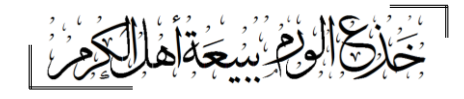
١- في ٢٣/شوال/١٤٣٧هـ، تسلل الشيكويون على مقر صناعة المتفجرات وأخذوا سياة رباعية الدفع، حيث وجدوا أحد الإخوة نائمًا في السياة فشهروا عليه السلاح، وأخذوا السيارة ووعدوا كل من يتبعهم بالقتل، وأخذوا سيارة أخرى في نفس المنطقة، عليها أسلحة ثقيلة، وذخائر ومعدات، فخرج جنود الخلافة لاسترجاع تلك الآليتين والمعدات، وفي بادئ الأمر ناقشهم الإخوة، وطلبوا منهم إعادة سيارتينا، فقالوا بالحرف الواحد : "إن الشيكوي أمرهم بقتالنا وأخذ ممتلكاتنا لأننا كفرنا بعدم تكفيرنا من كفروه، ومع ذلك فهم قد عصوه في أمره وتباطئوا أما الآن فليس بيننا وبينهم سوى الحرب".

رجوناهم واستعطفناهم منذ الصباح حتى المساء، لكنهم رفضوا وبدأوا بالشتم، وبدأوا يهتفون قائلين للإخوة (كفار كفار)، فرجع الإخوة وراءً ليس بالبعيد وتجهزوا ثم أغاروا عليهم وقتلوا منهم كثيرًا واسترجع الإخوة بفضل الله الآليتين بما عليها.

٢- تصدي هجوم للشيكويين على مواقع الإخوة في بحيرة تشاد، (شوال/١٤٣٧)، وقتل العشرات منهم وأصيب آخرين، وارتقى اثنان من الإخوة نحسبهم شهداء.

٣- في (ذي القعدة/١٤٣٧)، تم دحر جنود الشكويين في منطقة يوبي تمامًا، وقد فتح الله على جنود الدولة مناطقهم وقراهم في غابة فاروق، وتم قتل ثلاثة من قادتهم.

٤- في ٩/ذو الحجة/١٤٣٧هـ، نفذ الشيكويون هجومًا على منطقة الفاروق بقيادة محمد بكر، وقتل منهم ما يربوا على ٣٠، وأسر أكثر من ٤٠ منهم وفر البقية، ومن الله على عباده جند الخلافة باغتنام ٥٠ كلاشنكوف، و٥ أربيجي، ولله الحمد.



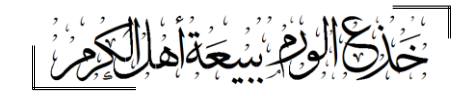
٥- في (محرم/١٤٣٨هـ) شن الشيكاوية هجومًا على منطقة كرينوا جنوب بحيرة تشاد، بقيادة محمد بكر أيضًا، وجيش مألف من ٣٥٠ ، عنصرًا وسيطروا على قرية "تُنبُما" واستَولَوا على بعض آليات جند الخلافة، ثم ردهم جنود الخلافة بهجوم مضاد واشتبكوا معهم بمختلف أنواع الأسلحة، أسفر عن مقتل أكثر من ٧٥ بما فيهم القائد محمد بكر.





الباب الرابع

أحكام فقهية يتعلق بالخوارج



في هذا الباب نحاول تبيين حكم قتال الخوارج، وما تسببه الاقتتال بما يتعلق بحقوق الآدميين، من إتلاف الأموال وإزهاق النفوس، وما يترتب عليها من أحكام شرعية، وما فيها القود والضمان، أو الهدر و السقط.



الفصل الأول حكم قتالهم

وأما عن قتلهم فقد روي عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: "(**يَخرج في آخر الزمان قومٌ أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول الناس، يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقِيَهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن لقيهم فليقتلهم، فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم**)".

وعن عبد الله أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**)".

عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام سواء الذكر والأنثى، قال العلماء ويتناول أيضا كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما وكذا الخوارج.

ولكن الخوارج ليس حكمهم كالمحاربين، لأن الخوارج خرجوا على المسلمين وقتلوا من قتلوا من ذلك على تأويل يرون أنه صواب، وهم في ذلك يبتغون الآخرة ويخافون عذاب الله حسب نظريتهم الخبيثة، والمحاربون خرجوا فسقا وقطعوا الطرق ابتغاء عرض الدنيا.



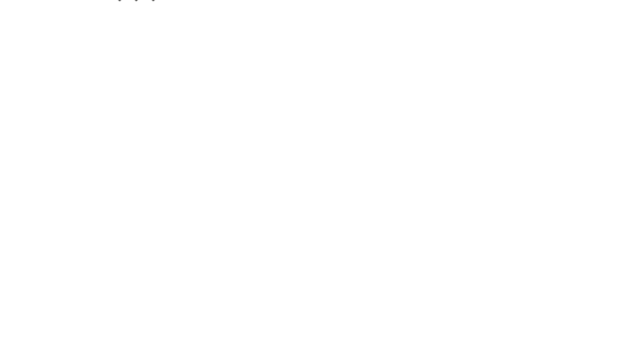
مبحث في

متى يبدؤون بالقتال

قال ابن عبد البر: قال الشافعي رحمه الله في كتاب قتال أهل البغي لو أن قوما أظهروا رأي الخوارج وتجنبوا جماعة المسلمين وكفروهم لم تحل بذلك دماؤهم ولا قتالهم لأنهم على حرمة الإيمان حتى يصيروا إلى الحال التي يجوز فيها قتالهم من خروجهم إلى قتال المسلمين وإشهارهم السلاح وامتناعهم من نفوذ الحق عليهم وقال بلغنا أن علي بن أبي طالب بينما هو يخطب إذا سمع تحكيما من ناحية المسجد فقال ما هذا فقيل رجل يقول لا حكم إلا لله فقال علي رحمه الله كلمة حق أريد بها باطل لا نمنعكم مساجد الله أن يذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم من أيدينا ولا نبدؤكم بقتال

قال وكتب عدي إلى عمر بن عبد العزيز أن الخوارج عندنا يسبونك فكتب إليه عمر إن سبوني فسبوهم أو اعفوا عنهم وإن شهروا السلاح فأشهروا عليهم وإن ضربوا فاضربوا.

ومن أهل الحديث طائفة تراهم كفارًا على ظواهر الأحاديث فيهم مثل قوله من حمل علينا السلاح فليس منا ومثل قوله يمرقون من الدين وهي آثار يعارضها غيرها فيمن لا يشرك بالله شيئا ويريد بعمله وجهه وإن أخطأ في حكمه واجتهاده والنظر يشهد أن الكفر لا يكون إلا بضد الحال التي يكون بها الإيمان لأنهما ضدان وللكلام في هذه المسألة موضع غير هذا وبالله التوفيق.[1]



(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/٣٣٩).

فصل فيما يتعلق بحقوق الناس

النفوس التي أزهقتها الخوارج والأموال التي اغتصبوها كلها هدر في -أحكام الدنيا- لا ضمان فيها، أما من وجد ماله بعينه عندهم فهو أحق به، ولا على النساء التي سبوهن أو تزوجوهن قهرًا شيئًا سوى تبرِئة الرحم، ثم تُرَدّ إلى زوجها الذي هي في عصمته؛ بدون اختيار.

قال ابن عبد البر: "(عن ابن شهاب قال صاحبت الفتنة الأولى فأدركت رجالًا ذوي عدد من أصحاب رسول الله ممن شهد بدرًا فبلغنا أنهم كانوا يرون أن يهدر أمر الفتنة فلا يقام فيها على رجل قصاص في قتل ولا دم ولا يرون على امرأة سيبت فأصيبت حدًّا ولا يرون بينها وبين زوجها ملاعنة، ومن رماها جلد الحد وترد إلى زوجها بعد أن تعتد من الآخر.

قال ابن شهاب وقالوا لا يضمن مال ذهب إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد إلى أهله.

وقال ابن القاسم بلغني أن مالكًا قال الدماء موضوعة عنهم وأما الأموال فإن وجد شيء بعينه أخذ وإلا لم يتبعوا بشيء قال ذلك في الخوارج.

قال ابن القاسم وفرق بين المحاربين وبين الخوارج لأن الخوارج خرجوا واستهلكوا ذلك على تأويل يرون أنه صواب والمحاربون خرجوا فسقًا مجونًا وخلاعة على غير تأويل فيوضع عن المحارب إذا تاب قبل أن يقدر عليه حد الحرابة ولا توضع عنه حقوق الناس يعني في دم ولا مال)". اهـ[1]

هذا إذا كان الفاعل منهم ولا يدري أن ما يفعله حرام، بل يراها هي من أوجب الواجبات، وأما إذا كان الرجل من أهل العدل، فسلّم الخوارجُ له أسيرًا من الموحدين امتحانًا له ليقتله أو أنكحوه محصنة، فهذا حكمه يختلف معهم وهو ما سنتناوله في المبحث الأتي.

* * *

(١) المصدر السابق (صفحتين قبله).

مبحث

فيما يتعلق بالتَّكليف على المُكرَه

تعريف الإكراه:

١ -في اللغة: أكرهته ، حملته على أمر هو له كاره، وأكرهته على الأمر إكراهًا: حملته عليه قهرًا.

٢- وفي الإصطلاح: هو حمل الغير على ما لا يرضاه من قول أو فعل، ولا يختار المكره مباشرته لو خلي ونفسه، وينقسم إلى ملجئ وغير ملجئ وتفصيل أحكامه محله كتب أهل الفقه، وإنما مرادنا هنا في بعض ما يتعلق على المكرَه [بالفتح] من تكليف، والأفعال التي لا يحل له الإقدام عليها حتى ولو أدى ذلك إلى هلاك نفسه.

توطئة: يجب على كل مسلم الفرار بدينه من الفتنة إذا لم يأمنها على نفسه، ويهاجر من ديار أهل الظلم إلى أهل العدل، فمن فرّط في الهجرة إلى دار العدل والإسلام؛ ثم أكرهه الخوارج أو المحاربون على مظاهرتهم ومعاونتهم في حرب المسلمين أو انتهاك أعراض العفيفات؛ فإنه مشارك لهم بذلك، لأنه بتفريطه في الهجرة وبقائه بين أظهرهم تسبب في إكراه نفسه فلا يعذر بذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [١]، قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في كلامه عن هذه الآية: "فإن قال قائل هل كان الإكراه عذرًا للذين خرجوا مع المشركين وقُتلوا يوم بدر؟، قيل لا يكون عذرًا؛ لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين إذ أقاموا مع الكفار فلا يعذرون بعد ذلك في الإكراه، لأنهم السبب في ذلك حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة".اهـ[٢]

أفعال لا يحل للمكره الإقدام عليها بحال من الأحوال، كقتل النفس بغير حق، أو قطع عضو من أعضائها ، أو الضرب الذي يؤدي إلى الهلاك، فهذه الأفعال لا يجوز للمكره الإقدام عليها، ولو كان في امتناعه عنها ضياع نفسه ، لأن نفس الغير معصومة كنفس المكره، ولا يجوز للإنسان أن يدفع الضرر عن نفسه بإيقاعه على غيره، فإن فعل كان آثمًا.

فمن أكرهه الخوارج أو غيرهم على قتل نفس أو إتلاف مال فإنه يضمنها لأن الله أباح لابن آدم الشرك عند الإكراه، وقدّم حرمة نفس عبده على أعظم حقوقه، ذلك لأن حقوقه مبنية على التسامح.

---

(١) النساء: ٩٧

(٢) الدرر السنية (١٢٦/٨).

أما حقوق الآدميين فهي مبنية على المشاحة، فلو أكره على قتل نفس فإنما يزهق نفس من يكافئه ظلمًا استبقاءً لنفسه.

ومن يجوز له أن يقي نفسه بأخيه المسلم، وقد قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يثلمه ولا يظلمه**». وقال النبي ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**. قالوا: يا رسول الله؛ هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالما؟ قال: **تكفه عن الظلم فذلك نصرك إياه**».

فإن فَعل يتصف إجماعًا بالعدوان؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗا ﴾، فلا جرم يُقتَل بمن قتله إلا أن يعفو عنه أولياء المقتول، ولا ينتصب الإكراه عذرًا.

قال الأئمة رضي الله عنهم:

قال ابن حجر:"استثنى المعظم قتل النفس فلا يسقط القصاص عن القاتل ولو أكره لأنه آثر نفسه على نفس المقتول ولا يجوز لأحد أن ينجي نفسه من القتل بأن يقتل غيره. وقال: "قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي انعقد الإجماع على أن المكره على القتل مأمور باجتناب القتل والدفع عن نفسه وأنه يأثم إن قتل من أكره على قتله". اهـ[1]

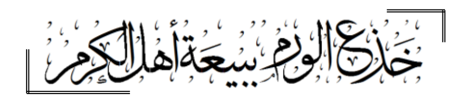
وقال صاحب جامع العلوم والحكم[2]: "واتفق العلماء على أنه لو أكره على قتل معصوم لم يبح له أن يقتله، فإنه إنما يقتله باختياره افتداء لنفسه من القتل، هذا إجماع من العلماء المعتد بهم، ... فإذا قتله في هذه الحال، فالجمهور على أنهما يشتركان في وجوب القود: المكرِه والمكرَه؟ لاشتراكهما في القتل، وهو قول مالك والشافعي في المشهور وأحمد". اهـ

وقال الإمام القرطبي قوله تعالى: ﴿ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ﴾ وهو خرج بنفسه فارًّا، لكن بإلجائهم إلى ذلك حتى فعله، فنسب الفعل إليهم ورتّب الحكم فيه عليهم، فلهذا يقتل المكرَه على القتل ويضمن المال المتلف بالإكراه، لإلجائه القاتل والمتلف إلى القتل والإتلاف. اهـ[3]

قال الصاوي المالكي: "لو قال لك ظالم: إن لم تقتل فلانًا أو تقطعه قتلتك، فلا يجوز ذلك ويجب على من قيل له ذلك أن يرضى بقتل نفسه ويصبر". اهـ[4]

---

(١) فتح الباري –دار المعرفة- (١٢/٣١٥).
(٢) ابن رجب الحنبلي "جامع العلوم والحكم" (٢/٣٧١).
(٣) تفسير القرطبي (٨/١٤٣).
(٤) الشرح الصغير مع حاشية الصاوي (٢/٥٤٩).



ومن هذا النوع أيضاً: أن تستحل فرج محصنة بدعوى الإكراه وتتزوجها، فإنه لا يرخص فيه مع الإكراه، كما لا يرخص فيه حالة الاختيار، لأن نكاح المحصنة حرام بنص القرآن، ولا ترتفع إلا بالطلاق أو الوفاة أو السبايا من أهل الحرب [الكفار الأصليون]، ووطؤها يُعدّ من الزنى.

الأدلة على ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [١]

قال الإمام ابو جعفر الطبري: "حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ قال: نهى عن الزنى، أن تنكحَ المرأة زوجين، وقال علي: ذوات الأزواج من المشركين، وعن ابن عباس في قوله: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ قال: كل ذات زوج عليكم حرام".اه[٢]

وقال الإمام القرطبي: "فالمراد بالمحصنات ها هنا ذوات الازواج، يقال: امرأة محصنة أي متزوجة...، وقال:"وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ هن ذوات الازواج، ويرجع ذلك إلى أن الله حرم الزنى".اه[٣].

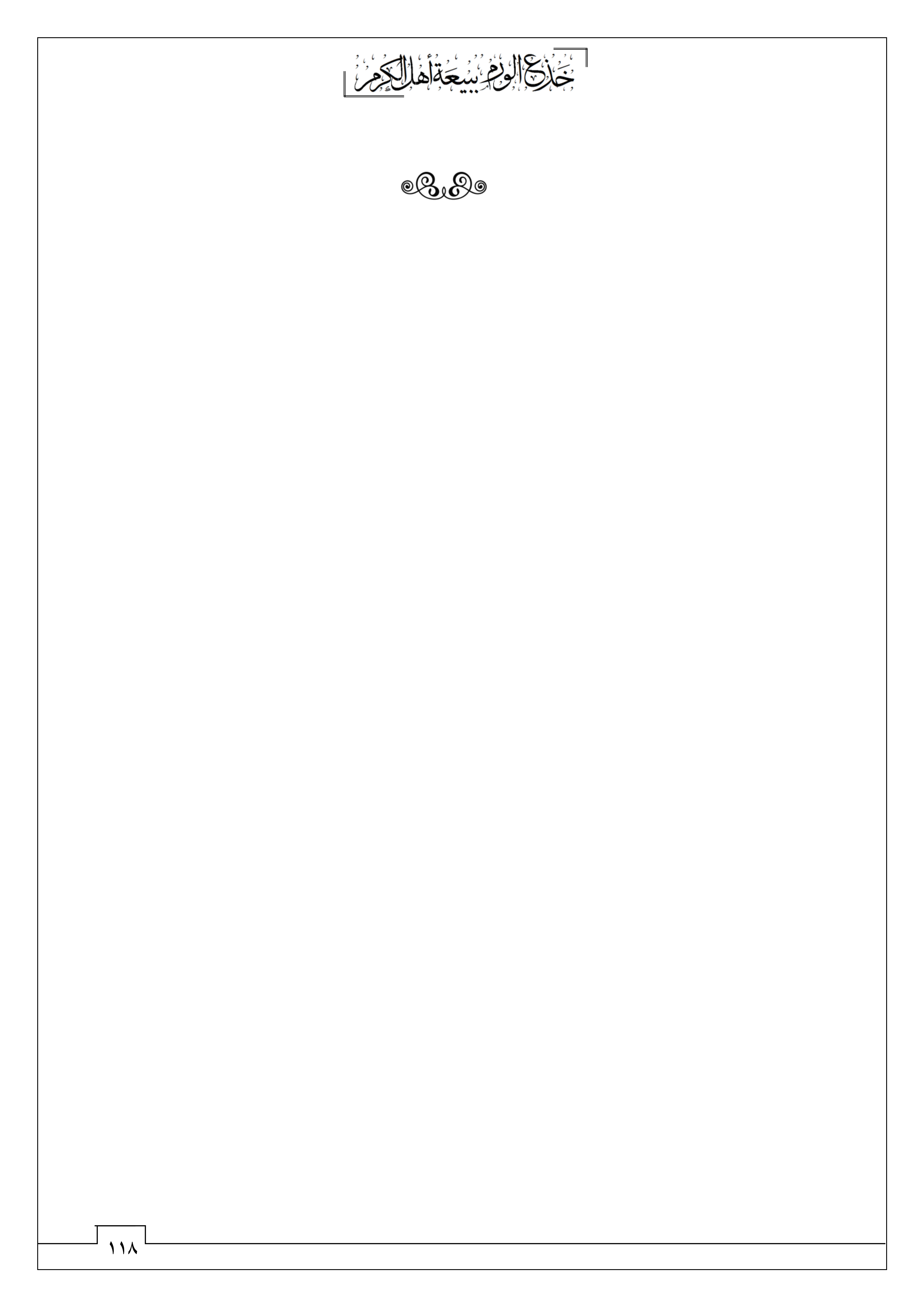
وقال صاحب "بدائع الصنائع[٤]": "فصل ومنها أن لا تكون منكوحة الغير لقوله تعالى ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ معطوفًا على قوله عز وجل ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ ... وهن ذوات الأزواج وسواء كان زوجها مسلمًا أو كافرًا إلا المسبية التي هي ذات زوج سبيت [في الحرب]".اه

فمن هذا نفهم أنه لا يجوز نكاح زوجات جنود الخلافة ولا غيرهم، الاتي تركهن أزواجهن في دياركم؛ إذ لسن سبايا لكم ما دمن لم تأخذوهن في ديار أزواجهن، والإكراه في زواج هؤلاء ثم وطؤهن ليس بمعتبر، ويجعل كأن المكره فعل ذلك الفعل بغير إكراه؛ إذ يمكنه أن يعتزلها في البيت حتى لو أنه أكره على الزواج، وأما إذا وطأها تحت تأثير الإكراه[٥] كان آثمًا، ولكن لا يجب عليه الحد، لأن الإكراه يعتبر شبهة، والحدود تدرأ بالشبهات.

تم الكتاب بعون الله، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، تمت في شوال سنة ١٤٣٩ هجرية.

---

(١) النساء: [٢٣]
(٢) تفسير الطبري (١٦١/٨).
(٣) تفسير القرطبي (١٢٠/٥).
(٤) بدائع الصنائع (٢٦٧/٢).
(٥) كوجود المكره في المحل يهدده بالقتل إن لم يجامعها.





فِهْرَس المحتويات

الباب الأول

الباب الثاني

الباب الرابع

الباب الخامس